جائزة مي غصوب للرواية

أولاد العمّة هاجر

أحمد عدنان نجم

دار الساقي

أولاد العمّة هاجر

أحمد عدنان نجم

أولاد العمّة هاجر

جائزة ميّ غصوب للرواية

دار الساقي

هذا الكتاب مُجاز لمتعتك الشخصية فقط. لا يمكن إعادة بيعه أو إعطاؤه لأشخاص آخرين. إذا كنت مهتمّاً بمشاركة هذا الكتاب مع شخصٍ آخر، الرجاء شراء نسخة إضافيّة لكل شخص. وإذا كنتَ تقرأ هذا الكتاب ولم تشتره، أو إذا لم تشتره لاستخدامك الشخصي، الرجاء شراء نسختك الخاصّة. شكراً لاحترامك عمل المؤلّف الشاق.

فازت هذه الرواية

بـ"جائزة مي غصوب للرواية" 2022

©دار الساقي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الورقية الأولى، دار الساقي، ٢٠٢٢

الطبعة الإلكترونية، ٢٠٢٢

ISBN-978-614-03-0270-9

Published 2022 by Saqi Books

Saqi Books

26 Westbourne Grove, London W2 5RH, United Kingdom

Tel: +44 (0) 20 7221 9347; Fax: +44 (0) 20 7229 7492

e-mail: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني

www.daralsaqi.com

www.saqibooks.com

@DarAlSaqi دار الساقي Dar Al Saqi Dar Al Saqi

أهدي هذا الكتاب إلى العديد من الأشخاص الذين هم أبعد من أن يكونوا أرقاماً بعدد الأصابع،

أسمّي بعضهم للذكر لا على سبيل الحصر:

باسم فرات، نوار إبراهيم، هناء كريم، دونا ويندرز، بن ترامب زاباتا، براد ايكنز...

لولا هؤلاء، لكان كل ما نفكر فيه مخصصاً للنسيان.

”أسمع فقط أغاني أطفال العمة هاجر متناغمين مع تلك النغمة الجنائزية القديمة
جوقة شبيهة بالسماء انتشرت، آمين!
إذا الشيطان أحضرها إليّ، الرب الصالح أرسلها إليّ
دع المصلين ينضمون إلي،
عندما أغني على أنغام البلوز المحببة للعمة هاجر“.

لوي أرمسترونغ

”أُلقي القبض على رجل في مركز محافظة بابل ادعت السلطات الفرنسية أنه على علاقة مباشرة باختفاء صحفي فرنسي. الرجل في منتصف الخمسين، ثمل، لا يكاد يستطيع الوقوف من دون مساعدة. وجد بين متعلقاته الشخصية كتيب صغير يتحدث عن الحرب الجرثومية باللغة الفرنسية، وقد خضع العديد من الصحافيين قبل بداية الحرب إلى عدد من الدورات في بريطانيا على يد ضباط سابقين في الجيش البريطاني“.

صحيفة ”لوس أنجلوس كرونيكلز“

22/5/2005

”تحدث تقرير سري وضعته لجنة تقصي الحقائق تابعة للكونغرس الأميركي عن جدوى برامج الخارجية الأميركية بخصوص إعادة الاستيطان حول موظفيها من جنسيات عربية. ونقل التقرير عن موظف عراقي سابق اغتصب جارته العجوز في السبعين من العمر والمصابة بعجز كلوي حاد...“.

تقرير أرلنغتون-ماندي

لجنة الشؤون الخارجية - الكونغرس

22/6/2010

مقاطعة سوفولك / ولاية نيويورك

تجري أحداث الرواية في المستقبل

– ماذا سيكون ردك على كل ما سمعت؟

– تعرف، قرأت مرة، عن خبر موجود في إحدى الصحف الكندية، يقال، عام 1866، هذا إذا كانت ذاكرتي صحيحة، نعم، التاريخ صحيح على ما أظن، مر سرب من الحمام المهاجر، مثل غيمة سوداء، فوق جنوب أونتاريو، هل هي قريبة من نيويورك؟ عرضه ميل واحد، طوله 300 ميل، نعم، مسموح لك أن تتخيل الأمر، هذه حقيقة، أحتاج أربع عشرة ساعة لكي تمر فقط من فوق مدينة واحدة، 3.5 مليون طائر، هل ترى الأمر؟ اللعنة، إلى أين اتجه؟ آه، نعم، لا أحد يعرف، هل من المخجل التفكير في هذا، حالياً، قدراً للظروف الآن...

– أنت لا تدرك أن مثل هذه الاستطرادات تؤثر كثيراً في موقفك الضعيف. كما أرى الآن أنت متهم بجريمة قتل، مزدوجة. آمل أن كانت لديك الفرصة لقراءة القانون الجزائي بدلاً من تصفح كتب العم جون لأدب المراحيض.

– لم أتعلم بعد كيفية ربط حذائي، ما زلت تحت رحمة مئة عام من الدهشة.

– ماذا؟ هل تمثل الغباء أم أنت هكذا في كل أوقات عملك. أتحداك أن تخبرني كل شيء. هل لهذا الكناري أي لسان، أخبرني قصة، لم فعلتها؟ أريد فقط معرفة السبب؟

– نحن مهمون لو وضعت حياتنا في قصة، أقوياء، أبطال، أنتي هيرو، سوبر هيرو...

– إذن لم لا تكون بطلاً وتخبرني كل شيء؟

– من أنت، جوزيف كامبل؟

– أها، لم لا، مع أنني لا أعرف ماذا تقصد؟

الفصل الأول

It is a goddamn Afreaka!

بدأ الأمر بمقطع فيديو
من كاتب شبح إلى كاتب شبح آخر: ليأخذنا الشيطان جميعاً.

بابل / مقاطعة سوفولك / ولاية نيويورك

- ماذا؟

- قد تقول إن الأمر أشبه بورقة بوكر رابحة، تعرف، أتذكر ما قاله لي بكل التفاصيل المملة، إذن، من دون تأخير، الأمر هو...

- تفاصيل مملة، علينا أن نتفق حول حل وسط. نحن نتحدث عن جريمة. التفاصيل إن كانت وضيعة أم غير مرئية، فدائماً ما تحل العقد كلها. كل شيء في هذا العالم يترك خلفه أثراً: الأحافير، توقفات درامية في كهرمان الوقت. الشيطان لا يكمن في التفاصيل، بل الوقت من يحدد اختيارنا بين الله وبينه. التفسخ لعنة الانتظار.

- ماذا تقصد بكل هذا؟ مرت على الحادثة، ماذا؟ عشر سنوات، مئة سنة، صديقي، لا أحد يعرف، ربما ما جرى لك، آسف على ذكر الأمر، أعتقد أن له نوعاً ما علاقة بما نتعامل معه الآن.

- أؤكد لك يا صديقي أنني لا أعرف إلى ماذا ترمي؟ نحن دخلنا إلى جسد القصة. لا أحد يتعامل مع عاطفة الكاتب أو ماذا يجري خلف الأكمة. أكان بولترغايست أم حيواناً مفترساً. أخرج نفسك من هذه قصة، ودعني أتعامل معها وحدي. التفاصيل، ببساطة، أناس ماتوا، هكذا، لا أعتقد أن أسماءهم، أو من أين أتوا، أو ماذا أكلوا في عشائهم الأخير، تهمّ أي أحد، انظر إلى هذه المنضدة، إذا كنت تستطيع أن تعبر عنها بكلمات، صفها باقتصاد، استثمر مخيلتك من دون أنثروموفوزية لعينة.

- لا أعرف ماذا أقول؟ العاملون في إيكيا لهم أنامل سحرية، هكذا.

- نحن نختلف في، ربما، التفاصيل وحدها من تزيل كل ربما في الزاوية. المنضدة تقف على أربع أقدام. لا يعني الأمر سوى أنها تلائم وضعية العبودية. هذا النوع من التفاصيل التي لا أود الخوض فيها لوجود عامل الوقت خاصة في وضعي الصحي الآن. اترك تلك الالتفاتات على الواقع وقل لي: ماذا سيكون بعد كل هذا؟

- لم تعطيني الوقت الكافي للتفكير في الأمر؟ لكن، هل يمكنني أن أعرف أولاً من أين حصلت على مقطع الفيديو؟ المعلومة قد تحصرني في الزاوية، وتجعلني آخذ الأمر كالحياة والموت، أقصد كما تشعر به إزاءه.

- هل تؤمن بمبدأ المصادفة البحتة، لأنه تفسير الأمر.

- كم الساعة الآن؟

- أعتقد أنها السادسة والربع، ها؟
- توقف عن القلق وارو لي كل شيء.
- تعرف ماذا يعني وجود كاتبين شبحين في مكان واحد؟
- المكان مسكون !
- ...
- دع شبحك يعترف لي بكل شيء الآن...

I

تجاوز نظارته الطبية حين نظر من فوقها باتجاه البحيرة. تراجع من خمس دقائق عن طلب شريحة البيتزا بالخضار. لم يعجبه تصرف موظف استلام الطلبات حين وضع قلم الرصاص فوق أذنه اليسرى أسفل القبعة التي تحمل لوغو المحل. خرج من الطابور مواجهاً من وقف خلف ظهره. كأنه فعل شيئاً ما. لم يعتذر. ترجل من الصف. خالف اتجاه سير الباقين. لم يشعر أن عليه أن يقول أي شيء، أي كلمة لتبرير أو توضيح ما حدث. لا أحد ينتظر هذا منه. لم يعد طفلاً بعد الآن. الأسف أشبه بقرض أخلاقي نادراً ما تسترده من الآخرين. عادة تمثل مشكلة له. مثل رفع اليد وتأدية تحية نازية. هو لا يعنيها. وربما لا يعرف هل هي صادقة أو مبالغ فيها، أو نقية، أو اجتماعية، لأنه يسمعها تقفز من فمه مثل علكة. لا يشعر بفائدتها إلا في تنظيف أسنانه. يريد أن يصبح شخصية معروفة وسط مجتمعه. غير مخفي. الأضواء. الشوارع الأمامية. مثل هامش أسفل شرح عظيم عن معنى الحياة.

تواجه بحيرة هوليز بناية دومينوز بيتزا التي لم يرها من قبل، وجهاً لوجه. يعتقد أنه قرأ اسمها مرات عدة في خريطة المدينة المعروضة في دار البلدية. لم يشعر أنه سيبقى هنا أكثر من أشهر عدة منذ رحلته الأخيرة من مدينته الأم فيلو أوهايو. ابتذال السبب وتفسيره للجميع مرات عدة جعلها قابلة للنسيان أكثر وأكثر، رغم أن لا أحد اهتم بالسؤال. تافهة، هذا ما يقال عن المدن التي نولد فيها. هناك من يدعو الله ألا يموت على بعد شوارع من مسقط رأسه، لأنها معرضة للانقراض. تقاليد. قصص متشابهة. الجميع يعرف الجميع. هذه وصفة لخلق استدارة مفاجئة أمامك. جنون مطبق. المصادفة وحدها ما جذبته إلى هذه المدينة. أضاع أحد كتبه المفضلة في أحد قطارات "أمتراك". لهذا نزل يبحث عن نسخة أخرى في أحد الأكشاك القريبة من البوديوم. ستة رجال يتقيؤون لمارتن كرايز. لم يخطط إلى أين يتجه. إلى الغرب. الجنوب؟ امتطاء أحد قطارات البي–أو. البودي اودر. بدت فكرة مستحسنة. رومانسية لم يتعود أن يفكر فيها.

وصل إلى ساحة وقوف السيارات. عبَر السياج الشائك. تضايق من صوت خطواته فبدأ يمشي ببطيء كأنه يمشي بين عدد من النيام. دراجة هارلي-ديفيدسون من نوع "فات بوب اف اكس أي اف" تقف وحدها في البارك رشيقة متوحشة بمقود يتفرع إلى جهتين متقابلتين مثل قرون أيل الرنة. تعتليها فتاة. تبدو في بداية العشرينات. تسريحة موهوك. شورت جينز قصير. تيشرت أحمر. سترة

جلدية فوق كتفها تتلامع بضوء الشمس مثل بقع صفراء في شاشة كمبيوتر. راقبها وهو يكمل طريقه نحو ضفة البحيرة. تلفّت نحوه. ربما يمشي بصخب.

رفعت رأسها من صفيحة الرسغ الإلكترونية. ربما أحست بأرطال زيادة في الهواء. بادلته النظرات. متفحصة. مثل أضواء السجن. استوجب أن يحييها من رؤوس أصابعه. خجلة وعصبية. بحركة من رأسها مثل التي يبديها طوال القامة حين يدخلون أبواب وجدت لإذلالهم. أنزلت ساقيها برشاقة. مثل صيني يأكل بالتشوب ستيك. عدلت من شورتها. اقتربت من المقود العالي أو كما يطلق عليها باسم "ايب هانغرز". علق بذهنه لحظات. وجد نفسه مجذوباً إلى عطور قادمة من كل الاتجاهات غير الموجودة في البوصلة. الأشجار. البكتيريا من التربة. سطح الماء المغطى بالأوراق الساقطة، الذي يمنح الضفادع ترامبولين غير صناعي للقفز. اختار بقعة على الضفة. أخرج من جيبه صفحة الرياضة من جريدة "بيكون" طبعة البارحة. فرشها على بقعة مجردة من الصخور والأعشاب. راقب سطح الماء المقرمش وهو يجلس على الأرض. اكتشف أنه يجلس مثل متأمل. فكر أن يبتسم وهو ينظر نحو الفتاة. بدت حركة غبية. لكنه اعترف لنفسه. شعر بأوردته تسترخي. نغمة قلقه تتوقف مثل لحن قطع من آلة موسيقية. اعتاد الشد العضلي، مثل سباح على وشك الغطس. أراد أن يصفق لجسده على هذا الإنجاز. لا. التفت إلى الخلف. لا تزال تعبث بصفيحة الهاتف. قرأ اسم نادي الدراجات الذي تنتمي إليه: الباندیدوس، بخط مائل باللون الأبيض. هزت الريح سترتها الجلدية وأدارتها نحوه. يشبه ديك الريح فوق البنايات القديمة. كتبت فوقه كلمة "بروسبكت". لا تزال تحت المراقبة. لم تنضم رسمياً إليهم. تواردت سيناريوات عدة إلى رأسه. تدق الباب مثل سعال يريد أن يتحرر من الرغامي. يملك الكثير من وقت الفراغ ولذا لا مانع من كتابة شيء ما في رأسه. ربما لن يملك الوقت في إنزاله أرضاً في ورقة أو حتى عمل مناورة هايمليش. الورق مثلنا. لا أحد يأخذ رأينا في وضعنا داخل ذكرى. نقسر عليها. لهذا نذكر بعضها. لا أحد مصدر موثوق للحديث عن ماضيه الشخصي. عرف هذا بالطريقة الصعبة. بدت كلعبة غير مؤذية. اكتشفوا مرضه بعد أربعة أشهر من احتفاله بعيد ميلاده الرابع عشر. سرطان الغدد اللمفاوية. جعله طريح الفراش سنة ونصف سنة. بعيداً عن حياته والمدرسة وأصدقائه وصاحبة القبلة الأولى له. بدت الأمة عظيمة بالمقارنة مع طريق الجلجلة. كاويات حارة تلسع جلده. التمرغ في الكوابيس الليلية. النظرات المشفقة. أحد الأعراض الجانبية. تعرف إلى الألم بطريقة مبكرة للغاية. لم يعد يتعرف إلى من هو صاحب الجسد الفضائي الذي تحول إليه من دون شعره. أحد الممرضين. ربما كان نوع غامض من المديح لم يتعرف إليه من قبل. أطلق عليه اسم باودر. استعارة من أحد الأفلام. بلونه الأبيض الشبحي. لتمنحه

هذه العزلة التي دفع إليها حباً بأقل الخسائر لا غير. الكثير من أوقات الفراغ التي يقضيها يفكر في الموت. رسم الشخصيات لكل من يمرق من باب غرفته. الممرضات والأطباء والمرضى وعمال الخدمة. أسماء. تفاصيل. حياة كاملة تتوارد إلى رأسه. كأنه يستمع إلى إعلان من مذيع يتحدث في الراديو. روت جدته بعد عشر سنوات من شفائه حين التقاها في دار المسنين في زيارة نادرة... في البداية قصت له أنها تشعر هذه الأيام بعدم قدرتها على الاعتناء بنفسها كما اعتادت أن تفعل. تفضل الموت على أن تطلب خدمة من شخص آخر. لا تطيق خيبة الأمل. في فجر كل يوم جديد هناك احتمال كبير لصنع خطأ لا يمكن نسيانه خاصة إذا كان ضد الصورة التي نحملها لأنفسنا. لا تريد أن تتطفل عليهم مثل ذبابة غير مرغوب فيها. حين روى هذه القصة ادعى أنه لم يسمع هذه الحادثة أبداً إلا بتعابيرها هي. روت له حين كان تحت آلام فظيعة جعلتها تتوسل بالممرضة أن تعطيه أي عقار لكي يساعده على النوم. نجحت حقنة مورفين في منحه الخرس. راحة مؤقتة. بعيداً عن شعور الضعة الغريب. تستسلم لكل هذا الألم. مثل طفل يتعرض لضجيج لا يقدر على إيقافه. دخلت ممرضة بعدها. نحيلة ذات وجه طفولي وعظام وجنات بارزة. كانت تحاول أن تبدل كيس الخروج من تحت الملاءات. بدأت جدته الصلاة وهي تضغط على يده اليسرى بضراوة، كأنها تتمسك به خشية اختطافه. أغمضت عينيها الباكيتين. تكرر صلاة تعلمتها من أمها حين كانت دائماً تخاف من الظلمة والنوم بمفردها في غرفتها، داعية الله أن يساعد روحه الشابة على التخلص من أتون هذا العذاب الجحيمي. نفض يده. أشار إلى الممرضة وهو يرفع إصبعه الرفيع مثل قلم كحلة. فوجئت برد فعله. راقبت القطرات في جهاز الإعطاء. أتخيل الأمر مثل اي تي وهو يثير الانتباه نحو سفينته الفضائية. أخبرها أنها حامل في شهرها الثالث. صديقها لا يود الالتزام معها لكنه عرض عليها الزواج خشية أن يولد ابنه بعيداً عن والده، مثله، لينتحر بعد سنوات برمي نفسه من جسر الأولاد الباكين على نهر موسكينغوم بعد خسارة كل أمواله في انهيار سوق الأسهم عام 2018. توقفت جدته عن الصلاة. صوته كان هادئاً، مثل صوت قسيس يتلو الصلاة بجانب ميت. رجع يكمل حلمه أياً كان هذا. حدقت الفتاة في صدرها الضامر خلف صدريتها البيضاء. أحست الجدة أنها قد تكون أخذت الأمر على منحى ديني أو ربما ألقت هذا العبء الذي شعرت به على شخص آخر. أرادت أن تقول شيئاً، أي شيء، من أجل شفط كل هذا الهواء البارد الذي تكثف في الغرفة. نزل الضغط قليلاً حين رجعت تكمل مهمتها من دون تعليق. رجعت الجدة إلى ما كانت تفعل وهي تحاول ترتيب ما جرى في عقلها. تنفست ببطء كأنها تستريح على مصطبة من دورة ركض في ماراثون خيري. فكرت في كلمة من صلاتها. توقفت عندها، حين استمعت لنبوءة حفيدها الوحيد.

يقال أنه من الصعوبة الانضمام إلى نوادي الدراجين. يطلق على من يريد أن ينضم إليهم قبل الموافقة الرسمية اسم "بروسبكت". جماعات فرض القانون تطلق عليهم اسم "أو أم جي". يتجاوز البروسبكت تحقيقات عدة سرية بعد أن يقوم بملء إرادته بعدد من الأنشطة غير القانونية. فترة هانغاراوند. لم تكن مقتنعة في البداية وهي ترى كل هذه الأعداد الكبيرة للفتيات والأزواج النساء في عالم يحكمه التستوستيرون. النساء يأخذن من دون اعتراض دور السند، الدعم العاطفي السلبي. كان عليها أن تكتشف الأمر، بغض النظر عن الجدوى. فكرت أنها الفرصة الوحيدة للانتماء إلى شيء ما. ثمة من يتبع طائفة. يعمل في كي مارت. يسافر بالمجان. هي كانت تريد أن تصبح أحدهم. عضوة في الباندیدوس الأسطورية، أن تدخل في حلقة منسية من لعبة القط والفار مع القانون. الأدرينالين الذي يفرز في الجسم ويأخذ طريقه مع مواكب الكريات الحمر والبيض والأكسجين. اعتقدت ذلك في البداية. نتيجة هذا الظن كان فادحاً. هي تستطيع أن تكمل الثانوية من دون أن تأخذ طريق أمها نفسها التي اكتشفت أنها ماتت بجرعة زائدة في أحد نوادي التعري في فلوريدا. لقد أنجبتها بعد أن نام معها مدير الصالة الذي وعدها أنه يعرف أحدهم في إحدى وكالات الأزياء الشهيرة في هوليوود. لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة من أشهر عدة. أحست بالذعر. عذراء من دون خبرة جنسية. لذا أول ما خرج الدم من نفق الحب اعتذرت منه لأنها أخفت عنه هذا الأمر. لم يهتم المدير. لم يقل شيئاً. استمر في ما يفعل. كبر خطؤها في الداخل وأصبحت إحدى الأمهات ببطن ضخم، وستطلق الريح بمجرد أن تحرك وركها. لا أحد أخبرها أن الجنتلمانية صارت فناً منسياً. طردها من بيته. أرسلها مع أحد العاملين يريها عرض الشارع الخارجي من دون أن يتعب حنجرته الذهبية في قول الكلمة السحرية. لا بيت. لا مال. تشردت هنا وهناك. عرفت الفوارق العامية حول كلمات التشرد الثلاث في لغة الشارع: الهوبو والترامب والبام. عاشت على الهامش أشهراً قبل أن تلد ابنتها في أحد دور جيش الخلاص وتتركها في رعايتهم وتهرب بأقصى سرعة تسمح بها حالتها الصحية. سلمت الطفلة لإحدى دور الأيتام تحت اسم كارمن على اسم المديرة، ليجري الاعتداء عليها منهجياً بمجرد أن اختار جسدها أن يزهر قبل الأوان. أنقذتها عائلة من الساحل الشمالي حيث كان رب العائلة مضارباً في البورصة. الأم كاتبة مغمورة تعمل في كتابة قصص مصورة للأطفال. عندما تجاوز عمرها الرابعة عشرة بقليل انتشر لها مقطع فيديو على "يوتيوب" قبل أن يحذف ويجري تداوله في وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى على نطاق واسع. تمارس الجنس الفموي مع صديق لها في المدرسة، جيسون فيتزباتريك الذي كان مدير تحرير صحيفة المدرسة. كل ما أرادته منه أن تكون مشهورة، أن تنتشر صورها على الصحيفة من أجل أن تأخذ دورها في حلقة البوش

غيرلز التي كانت تترأسها ابنة منتج مسرحي كبير. طلب جيسون منها أن تلعق عضوه الذكري أو كما أطلق عليه السيد بيتر، لأنه كما يقول يستطيع الطيران بمجرد أن تغمض عينيها. لكنها لم تدرك أنه كان يصور الأمر كله من كاميرا "نيكون" خبأها بين قواميس أكسفورد وميريام ويبستر في مخزن البواب. سجن في سجن الأحداث. وأُرسلت هي إلى مدرسة القلب الأقدس للراهبات لأنها تحتاج إلى إرشاد إلهي لشفائها من الأمراض الشيطانية التي تعاني منها. بمجرد أن بلغت الثامنة عشرة عبرت السياج الحديدي. لم ترَ أبويها المتبنيين من ست سنوات. تعرفت رسمياً إلى حياة الشارع، عالم عصابات الدراجين الباندیدوس، الذي يقال أنه "أسوأ الأسوأ". سميت بهذا الاسم تخليداً للعصابات المكسيكية التي كان مؤسسها دونالد تشايمبرز من أحد معجبيها. وصل عدد المنضمين إليها في عدد من الدول إلى ثلاثة آلاف عنصر. توقف عن إكمال النص حين سمع صوت محرك الدراجة يسعل. لمح الدراج يحمل علبة البيتزا لصديقته. لم يرد أن يلتفت في البداية لكنه حرك رأسه بعيداً عن الغبار الذي أحاط برأسه مثل هالة نورانية كما في صور القديسين في الكنيسة. الفتاة تنظر إليه بالمزامنة مع صديقها الضخم الذي يملك جسداً ملوناً بالوشوم الملونة والغريبة. تتوج جسده المنتفخ صلعة مضيئة، مثل مقبض باب. تحدثا معاً في عدد من الهمسات والتعابير الوجهية. بادرت إلى توديعه حين تركوا مكانهم. إعصار من الغبار والحصى الناعم خلف أنبوب العادم الفضي. كارمن. ربما مولي. يبدو اسماً مناسباً لها بعد أن رأى صديقها الضخم بعضلاته الشبيهة بعازل ذكري مملوء بالجوز كأنه هيتمان أو أي شيء له علاقة بالعالم السفلي.

سلسلة الإطلاق. السبب الرئيسي الثاني الذي جعله هكذا. من دون أي شيزلونغ أو ساعة رملية على المنضدة. كان في العاشرة حين تعرض لشبه محاولة اختطاف. قليلاً ما عرف أن حفلة المبيت التي أقامها دينيس، صديقه الوحيد في بيته، والتي حضرها الكثير الأولاد من صفه ممن لم يكن يطيق التعامل معهم... أمه هي من شعرت أن عليه الخروج من البيت ومصادقة الكثير في مثل سنه، بعيداً عن عزلة غرفته والاكسبوكس الذي يطلق عليه السيد جاك على أحد الشخصيات التي لعبها يوماً ما. يقع بيت دينيس على بعد أحياء من بيته. خرج في الرابعة مساء بعدما أكمل إحدى مراحل لعبة "إله الحرب". خزن تقدمه فيها. لبس على عجل. من دون أن ينسى أن يأخذ معه علبة الكوكيز بالكاكاو التي دأبت أمه على تذكيره بها كل ربع ساعة. بدت فكرة جيدة لأن جميع الأولاد يحبون أكله مع كوب من الحليب. ركب دراجته الهوائية. ودع أمه بقبلة الخروج. دخل إلى شارع هاورد حتى نهايته. أخذ بعده شارع الين. يوجد بار يدعى ليلي فلاناغان حيث اعتاد أبوه أن يتسكع هناك مع عدد من أصدقائه قبل رجوعه من حرب العراق في تابوت منقول عبر طائرة شحن. دخل شارع

اسبن. واتجه نحو البيت ذي الرقم 765. قالت والدة دينيس للشرطة إنها لم تشعر بالارتياح لوجود أحد عشر طفلاً في بيتها. خافت أن يقدم أحدهم على فعل غبي لابنها أو لأصدقائه، وأن ينخرطوا في ألعاب جنسية في لعبة الأماكن الخاصة. تدق باب الغرفة. تستغل العديد من الأعذار لكي تراقب ما يجري، إلى أن شعر ابنها أنها تواظب على إحراجه أمام أصدقائه. لذا طلب منها ألا تري وجهها له وبمجرد أن غادرت أقفل الباب خلفها. كل عشر دقائق تتنصت للاطمئنان إلى الأصوات المكتومة في الداخل: حواراتهم، وضحكهم الصاخب. الساعة الثامنة مساء روت نبتة الأزاليا التي أحضرها زوجها هدية في عيد زواجهم الرابع عشر، حين أخبرته أن إحدى القوائم لديها هي الحصول على بيت زجاجي في الحديقة الخلفية من أجل زراعة الورود النادرة.

شعرت أن الغرفة هادئة على غير المعتاد. انتظرت قليلاً. أرادت التأكد قبل أن تقفز لفعل أي شيء محرج لابنها. تفحصت وجه ساعة الرسغ. ضحكة مفردة. حاولت رؤية أي شيء في فتحة القفل. صوت مميز واضح، مثل نغمة نشاز. منفلتة. كأنها قادمة من حنجرة رجل ناضج. يطلب منهم أن عليهم البحث خلفهم بعد مرور خمس دقائق. ركضت نحو خزانة المؤن داخل غرفة المطبخ. خطفت مضرب البيسبول المتكئ على الجدار. ركضت نحو غرفة ابنها. ظلٌّ خطف بسرعة أمام نافذة المطبخ. خرجت خلفه. تصرفت بغرابة من أجل أن ينتبه نحوها الجيران والمارة. رجل طويل بشعر أبيض يمشي بالقرب من عمود الإنارة. كان على وشك الاستدارة باتجاه الشارع الخلفي. يمسك بيد ولد. عرفته. أحد أصدقاء ابنها الذي مات أبوه قبل أشهر. كانت تشعر بنوع من العاطفة نحوه. هددته من بعيد أنها اتصلت بالشرطة. اتصل أحد المارة القلقين بالشرطة. ترك الولد يرجع وحده. يضع يده اليسرى على بطنه. كأنه يحاول أن يتقيأ.

سأل أحد ضباط الشرطة الولد دينيس هل رأى هذا الرجل من قبل. ربما، في الشارع، في المدرسة. هل هو قريب لأحد أصدقائه، معلم، مدرب رياضة، الماسكوت. أخبره أنه كان يرتدي قناع كابتن جاك سبارو، ويبحث عن رفيق من أجل رحلة بحرية لإيجاد كنز القراصنة. وقع اختيار الجميع على الولد الأقل كلاماً لأنه لم يشاركهم نشاطاتهم العشوائية. اتفقوا أن عليهم التخلص منه قبل أن يبادروا ويطردوه من الحفلة.

اتصلت والدة دينس بأمه وأخبرتها بكل شيء. ماذا كان ليحصل لو لم تكون فضولية؟ كانت تشعر بالفخر لأول مرة في حياتها. لم تحس أن هوسها مرضي. في الآخر، لم تشعر بالذنب لأنها أحرجت ابنها أو صار تحت الأضواء. استفادت منه. حاولت الاعتذار باستخدام عدد من التعابير المدفوعة بكيروسين عقدة الذنب. تخيل ماذا يمكن أن يجري له؟ لو لم تركض خلفه. مرتاحة لحواسها كأم، إذ

لم تخذلها أبداً. اعتبرت أمه هذه الحادثة نوعاً من نغمة تنبيه. بادرت إلى عدد من التغييرات التي وجدت أنها بحاجة إليها، والتي لم تفكر فيها من قبل، من أجل المحافظة على ما تبقى من عائلتها. غيرت الأقفال. أحضرت خبير أجهزة إنذار متطورة لكي يصنع من البيت قلعة حصينة. حاولت المواعدة مرة أخرى بعدما أجلت هذا الموضوع سنوات. عليها أن تبحث عن أب لابنها، رجل مناسب لكي يساعدها في حماية ابنها، أو إعادة العلاقة المقطوعة مع والدها المصارع الأولمبي المتقاعد، لتعرف ابنها إلى عالم الرجال. خسر الجد درجته الأولمبية من خمس وثلاثين سنة بعد أن اتهمته أحد الفتيات البلجيكيات بمحاولة اغتصابها في بار في مدينة أتلانتا أثناء أولمبياد 1996. اعتزل الرياضة. يعيش مع زوجته المتسامحة وابنته الوحيدة. أحبه الجد. حاول أن يزرع حب الرياضة فيه. أخبره أن بناء الأجسام ليس لاجتذاب الفتيات بقدر ما هو لـ"تسمين صورنا الفوتوغرافية". نحسّن نظرتنا نحو أنفسنا. نبدو عدائيين أمام الجمهور، خاصة إذا كنا نملك أرواح فئران خائفة فقيرة. العالم كبير كبير جداً علينا لكي نتعامل معه وحدنا.

رجع الهدوء مع آخر حبة غبار وقعت على الأرض. مكنة الوساوس وهي تهصر، تعمل، كما اعتادت أن تفعل بالعادة في الأيام العادية مثل هذا اليوم. أصوات حوافر، أحصنة تعدو في مضمار. مرات يشعر أنه عارٍ، متروك في العراء. مثل بزاقة من دون الصدفة. ربما يشعر الآن أنه قريب من الحافة. يراقب العالم من كاميرا مراقبة. بعيد عنه. مسافة مضنية للبحث عنه. لا. سمع صوت غصن يتكسر. قريب. شعر موجود فوق رقبته. سياح متلهفون لالتقاط صور فوتوغرافية بائسة للبحيرة، لتذكيرهم بما خسروه من حياتهم. يعلم أن لديه مشكلة تضعه في تواصل خانق مع عدم رضاه عن شكله. ربما يملك جاذبيته الخاصة بنظاراته وخجله الشبيه بفتاة ريفية، ورأسه البيضوي الأكبر من المعتاد، والشفاه المكتنزة نوعاً ما، التي قيل له أنه أخذها من جده لأمه الذي نزح من جنوب أفريقيا، الأساس الذي منحه هذا التدرج الخلاسي في بشرته. بند آخر في قائمة توتره التي قد تطول وفق تدخل الآخرين في حياته. التفت نحو اليسار. لمح شيئاً يتقافز فوق الشجيرات. عرف عبر انحناء سيقانهم القصيرة رغبة لا يشعر أنه يقدرها في التعريف بينه وبينهم. حصى صغيرة تضطجع في أرضية البحيرة، مرئية عبر الماء الشفاف. ربما عليه التركيز وتهيئة مزاجه المسرحي لبعض التمثيل. يدعي الاهتمام، وخلق الوهم وتكوين صداقات. هو بطريقة ما لا يريد أن يبدو مثل سوسيوباث. ربما جذعه كان مخطئاً حين تبع قدميه إلى هذا المكان. أقصى اعتقاده أنه قد يقضي بعض الوقت، بعيداً. عن ماذا؟ الحضارة. الصداع الذي يحيط به مثل عالم تغمره المياه. المكعبات الكونكريتية التي تزدحم فوقه، كأنه أحد النمل العامل. بدت محاولة طفولية في تجميع بضعة أفكار.

خطة خمسية لما يحاول أن يفعل في حياته أو يريد أن يخطط لها. النوم في الفراش لم يعد كافياً من أجل وضع الإستراتيجيات بعد أن أفرغ من محتواه لتصبح الخطة "ب" للهرب من الكابوس المعاش. ليس من أجل التعب الفيزيائي الذي يرتدي الجسم بعد يوم شاقّ من التمرغ في المستنقع. عالمنا الضائع في مثلث برمودا. السرير والثلاجة والحاسوب. لم يفهم أي أحد بدلة الفضاء التي علينا ارتداؤها لكي نستمر في الحياة. الجاذبية. ازدحام الأفكار داخل عقله. كلها تريد أن تخرج دفعة واحدة. مجموعة من الزومبي يحاولون الخروج من باب واحد. غيّر طريقة جلوسه. شعر بقدمه اليسرى مثقلة ببعض الخدر. توتر سطح البحيرة مطلقاً بعض التموجات الغريبة. العذرية كلمة شعرية. لا يوجد مكان خالٍ من التأثير البشري. الرائحة البشرية تترك أثراً أثقل في الهواء، مثل الزيت والماء. تتوتر الحيوانات ذات الحساسية الأنفية حين يتصادف مرورنا في الغابات. رائحة جديدة، منافسة، مخيفة، كأنها إشعار قضائي بالاستيلاء على المكان. كل من يبحث عن العزلة أو يحاول دبلجة هذه ليغطي الكلمة الأخرى التي لا يود أي أحد أن يذكرها خشية أن يقال عنه ميزانثروبي. واحد من اقتباسات أمه المفضلة. أكره البشر ولكنني أحب الناس. كانت تضع شرشف سريره في جهاز الغسالة عندما سألها عن مكان أحد ألعاب الفيديو. تطور الحديث عنه. بدت كأنها أرادت أن تضرب له مثلاً ما، للخروج إلى العالم واكتشافه. عمره آنذاك لم يتجاوز التاسعة. بدت مستسلمة متعبة، قبل أن تطلق هذا التصريح. ربما ظل مشرنقاً داخلها لزمن طويل. ربما ذعرت من وجود تاريخ الاكسباير للأفكار المكبوتة التي قد تتحول إلى مرض عضال من دون علاج يلوح في الأفق. أطلقت هذا الدفق من دون رادع أمومي. لا يزال يتوتر حين يتذكر أمه. لا تزال آثار أظفارها تخدش روحه. قال له الطبيب النفسي قبل سنوات، حين كان في حاجة إلى الحديث بعد أن وصل توتره أو قلة نومه إلى اغترابه من أصدقائه ومدرسته، سأله أن يكتب ما يشعر به، وما يزعجه، في ورقة ويقرأها أمامه في الجلسات. اذكر الحقائق، انطباعاتك، آثار المشاعر التي ما زلت تحتفظ بها. لا أحد يعرف أن ذاكرة الأطفال خصبة. البذار تتحول إلى أشجار معمرة لن تموت أبداً. لم يفكر كثيراً في القائمة. تدفقت الكلمات على عجل، مثل دم فاسد وجد له مخرجاً من جسده، مثل أول رسمة سرقها من إحدى القصص المصورة التي تتحدث عن كابوس تطور ليصير أحد الشخصيات بشعر من قوابس وأسلاك كهربائية وعيون من العملات. اتصل أحد الأساتذة بوالدته. أخبرها أنه وجد هذا الرسم في أحد دفاتره. ارتعبت أمه. أخذت الأمر على محمل الجد. أخذته إلى أحد الأطباء النفسيين. أخبروها أنه بخير ولا حاجة إلى القلق أبداً. لكنها لم تصدق أبداً. تحول المهمة من التربية إلى مهمة إنقاذ عاجلة. بدأت إعطاءه أدوية نافدة المفعول له ولإخوته الآخرين بحجة أن الخلل قد يكون معدياً

ومن واجبها معالجتهم جميعاً من مس الشيطان، الأمر الذي كان ليقضي عليهم جميعاً بأحد الآثار الجانبية للدواء قبل تأخذ القصة مجرى آخر، بعد أن تعرضت لحادث جنوح على الطريق 667. كانت تريد أن تغير إذاعة الراديو حين سقطت في حفرة صنعتها إحدى شركات النفط من أجل أنبوب نفطي جديد. لم تتحمل جدته أمام كل هذه التطورات لتتدخل. ربته مع أخويه الصغيران اللذين يعيشان الآن في ولايات مختلفة.

ألم في صدره. حدق في سطح الماء. بدا أن السائح يتعمد المشي فوق الأغصان كأنه يعلن قدومه بأكثر ضجة ممكنة. كل ما عليه الانتظار. لا يزال يتأمل أن يمضي في طريقه من دون أن يطرح أي شيء من شأنه أن يتجاذب أطراف الحديث معه. رآه الآن. رفع يده عالياً من أجل تحيته. ربما يريد أن يتناول غصناً ما يتكئ عليه. كل ما توصل إليه هو رجل عجوز، أو ربما أحد ما يرتدي قبعة بيضاء من الفرو. يمشي في طريق تؤمّه الحيوانات البرية. يرتدي سترة افاغنكا السوفياتية مع قبعة رياضية وبنطلون تخييم أزرق. توقف بجانب نهاية البحيرة البعيدة على بعد أكثر من مئة متر. أنزل حقيبة التخييم من نوع بلاك دايموند. لم يتأكد من تحيته في البداية ولذا تأخر في الرد عليه، نوع من رد الفعل الاعتيادي في مثل هذه المواقف. تدفق الشعور بالذنب في دمه. عليه أن يقنع نفسه أن الأمر لا يهم. ليست نهاية العالم لخاطر الله. توقف عن القلق. توصل إلى نوع من السلوك الاجتماعي وحصره في يديه من أجل ألا يقال عنه شيء ما. هذا كان السر. يفكر كثيراً في ما يقال عنه خلف ظهره. لماذا؟ ربما للأمر علاقة بطفولته البائسة. تنهد وأخرجها من صدره كتنهيدة ذات صوت بخاري نوعاً ما ورمى حصاة على سطح البحيرة الساكن. سمع صوت ارتطامها في الماء ووصل إليه كأنه صوت زجاج يتكسر. جفف العجوز عرقه. ربما يستجمع شجاعته وأعصابه من أجل أن يبدأ معه حواراً عادياً. لا هذا ما يفعله هو. قام. حمل الحقيبة. توقف مرة أخرى أمام شجرة. لم يرَ سوى رأسه وهو ينظر نحو شيء ما في الأغصان، كرة متحركة وملونة أعلى شجرة. سحب كاميرته التي تتدلى فوق صدره. لمع فلاشها من بعيد. حيّاه بيديه. بالغ في الانحناء وهو يدفع يده إلى الأعلى مثل النبي موسى في لوحة بييتر دي غرييبر. رن هاتفه المحمول وأخرجه من جيبه. أحد ما يريد شيئاً ما. اقترب منه واضعاً يده على صدره. لا يعرف لم بذل كل هذا المجهود العقلي في مراقبته. بدا أنه يحاول أن يسعل. ربما يريد أن يعيد تشغيل قلبه الإلكتروني مثل أي سايبورغ قديم. يا إلهي! قد يموت هنا. سيضطر حينئذ إلى إبلاغ السلطات المختصة. سيحرك عضلة لسانه ويستخدم العديد من المفردات التي من شأنها إبعاده عن صف المشتبه فيهم. هذا كل ما يفكر فيه في هذه اللحظة. كيف يستطيع أن يتعامل معه من دون أن يترك أي أثر؟ يحاول أن يجرف هذه الأفكار من

رأسه بمجرفة في شارع مليء بالصقيع. لو كان يجيد الكلام مثل أي شخص عادي، ما فكر في مغادرة شقته هرباً من العالم الضاج الذي يلتف من حوله. يجيد الكتابة على الورق. أسلوبه له وقع خاص، بمجرد استعماله اللغة الصوتية، الأسلوب البدائي الآخر، مع قرقرة البطن وأصوات الطيور. يتلعثم ويخلط بعض الكلمات ذات الموسيقا المتشابهة مع أخرى ليمنح المقابل رحلة إثنية ونشازاً مثيراً للاشمئزاز، تذكرة مجانية في دفع الآخرين إلى مناقشة فكرة عدم التعامل مع جميع هذه الفوضى. شخص مقموع. عاش كثيراً من السنين وهو يؤمن أن سقف بيته السماء الوحيدة. يشعر أن العالم يتفرج عليه. ترومان بوربانك آخر أكثر انطوائية وحذراً. لم يغادر بعد بيته الطفولي، مثل ارتير رامبو عندما اشتغل في التهريب وترك كتابة الشعر الذي أبهر العالم بمجرد أن مات الطفل داخله كما قال. ابتسم له. هو الآن يتنفس بملء صدره. فتح يديه كأنه يشير لأحد العازفين أن يتمسك بالنوتة. بدا سعيداً لكنها ليست من النوع المعدي، مثل التثاؤب. يشعر الشبح بغيمة سوداء تتهدد فوقه. يشعر بالبلل. الصمت الفولاذي يقطع طرقه المتبقية لربطه مع العالم. شكراً لله. اختار هذه التسمية لأنه لا يمكن أن ينحت أي شيء آخر. مكان قصي. كوكب خاص به. فكر أكثر وهو يلمح اقتراب العجوز يقضم المسافات نحوه. اسمه؟ ماذا يفعل هنا؟ قصته التي تعطي بعداً متفرداً له. هو يتجه نحو السبعين مثل سيارة "كمارو" على الطريق السريع. لم يبقَ من العمر يقضيه في دفء النوم. لذا فضّل أن يعيش في الاوتدوور العظيم. يترك آثاره على الأرض. يحرك كل تلك الأوردة المحصورة في ساقه المصابة بالدوالي. زوجته ماتت قبل مدة قصيرة، السرطان أو السكتة الدماغية، وهي تنظف التواليت يوم الجمعة الأخيرة من نوفمبر. أحبها. لا يزال، رغم أنها كانت، وفق المواصفات الحالية، تبالغ كثيراً في ذاتها. ديفا. ملكة الدراما التي ستشعر سكارليت أوهارا بالخجل. دفنها في صندوق من الزيزفون كما طلبت في وصيتها، لأنها اعتادت التبجح دائماً بأصولها الفرنسية البعيدة، حين غادر أحد أجدادها من قرية فيلاك بالقرب من سلسلة جبال جورا. هذا السبب الوحيد لامتلاكها مثل هذه السيقان الملكية المثيرة التي لا تكبر أبداً. لا يزال فرع من عائلتها يعمل في صنع الدمى. من شجرة الزيزفون. يا لها من شجرة مبالغ في تقديرها! فمن الورق يصنع شراب مهدئ ومن خشبها تصنع الألعاب للمحافظة على التقاليد. دهمته الوحدة مثل ليل الهاربين. أولاده الأربعة تفرقوا في الجهات الأربع. يشعر بالملل الذي يخنقه دائماً مثل ربطة عنق في اجتماع رسمي. ابتدأ غزوة نورمانية على بيته الذي صار الآن له نفس عمر زواجه. لذا عندما يحتفل بعيد زواجه هو يحتفل بانتقاله إلى هذا البيت. في أحد الأيام، صعد إلى العلية التي تقع مباشرة فوق غرفة نوم ابنه الأوسط. لم يعد يتذكر بماذا يحتفظ في هذا المكان أو متى دخل هناك آخر مرة؟ لم يشم رائحة العلية من قبل

رغم أنه لا يعتبر ذاكرته من المصادر الموثوق بها. قرأ في إحدى الصحف أن أحد سكان مدينة كولومبوس وجد جمجمة في العلية. تبين بعد فحوصات مكثفة أنها لرجل مفقود منذ 116 عاماً. لذا خشية من التعامل معه مثل مجرم فكر في بيع البيت يوماً ما والانتقال إلى مكان أصغر من أجل مفاصله أو من أجل قربه من مطعمه المفضل. لكن أن يجد أحدهم شيئاً ما في ذلك المكان الموحل في الظلمة ربما قد يدينه هذا بعيد الاحتمال، مثل أن تمطر ضفادع. لكنه لم يكن راضياً عن كسله أو حبه المرضي للنوم. عليه أن يمارس حياته كأنه لا يزال يعمل. يستيقظ في السادسة. يحلق ذقنه. يرتدي الملابس الملائمة، بطريقة أن يخدع التقاعد، العزلة، الرزنامة التي تتناقص من عمره.

يعمل ابنه الأوسط في قناة محلية للأخبار. لهذا يملك العديد من أكداس صحيفة "نيويورك كرونيكلز" التي تصله بصورة مجانية موضوعة في عدد من صناديق الأحذية. لا يدري أنه يقرأ هذه الصحيفة. يعرف أنه أحد عبيد "نيويورك غازيت" كما أن الجميع عبيد مكنة الحلاقة من نوع جيليت. اقترب من النافذة العلوية الشبيه بمربع نرد لأنها مملوءة ببقع ذرق الطيور الذي يلتصق بالزجاج منذ زمن بعيد. راقب جاره يغسل سيارته من نوع الهمر اتش 1. الشارع الهادئ... القطة التي تسكن في شجرة وسط الرصيف. رجع إلى ما كان يبحث. عدد من الكتب القديمة التي تتحدث عن الأغنام في الولايات المتحدة. كتب عن الميكانيك. وجد كتاب كيف تصنع سلاحاً لمواجهة غزو الزومبي لمؤلف لم يسمع باسمه من قبل لأن اسمه طويل: جينادي نيكسلامونييف. ربما يعود إلى أحد أولاده. بدأت الأعراض الجانبية للمكان الذي لم تطأه رغبة التنظيف تضغط على أعصابه. الغبار المتطاير. صمت يغلف المكان مثل فقاعة رحمية تعزله عن العالم الخارجي. آلام في مفاصله. الرغبة غير المكتملة في العطاس جعلته ينهي مهمة الكأس المقدسة ذلك اليوم. ترك كل شيء كما بعثره. نزل من العلية واتجه نحو المرحاض. أفرغ مثانته. دهمه الجوع. فكرة ساندويتش مع أحد البرامج المسابقات، جيباردي، ويل اوف فورتشن، مناسبة تماماً لما بعد الظهيرة. كانت زوجته تحب الجلوس أمام مسلسل شاهدته منذ وفاة ابنهم الأخير في نهاية الثمانينيات. ذا بولد اند ذا بيوتفول لا يزال معروضاً حتى هذا اليوم لكن لم يشاهده أبداً حتى وهو جالس معها. يشاهد الممثلين يتحركون. يسمع حواراتهم وتصرفاتهم المبالغ فيها. يرتحل إلى مكان ما في داخل رأسه. يترك أحد نظرائه معها ويمشي وحده على أحد الشطآن المهجورة في فلوريدا. يحب أن يفكر ويخطط لكل شيء ويترك من يفكر فيه بعد أن يكمل في أحد المجارير المتروكة. يبحث عن هواية جديدة بعد تقاعده. كيف يستغل أمواله في مشروع مربح. لم يهتم وهو يكتشف إصابته بالسكري أو حتى عندما بدأت ذاكرته تذوي مثل دموع في الفرن. بدأ الأمر بحوادث بسيطة، مثل نسيان مسح مؤخرته في الصباح بعد

زياراته المتعددة إلى العرش أو لم كان يضع الريموت كونترول في خزانة المؤن. ليس بالأمر المهم. دهمته الآن إحدى تلك النوبات المشؤومة. هو الآن ضائع. نسي كل شيء. ذاكرته بيضاء مثل ملابس ممرضة مستجدة. هناك كلمة لاتينية تعبر عن الأمر: تابيولا راسا. توقف عند هذه النقطة والعجوز يقترب منه بخطوات بطيئة. تذكر عملة وجدها قبل سنوات في قنينة ماء على خليج بابل. الزلوتي وحدة نقدية قديمة في بولندا. أما zalatwic ، فهو تعبير بولندي والترجمة الحرفية له: رجل يعمل في وظيفة مالية، لكنها في اللغة العامية تعني تقديم الهدايا المالية من أجل الحصول على خدمات. اقترب من صخرة كبيرة وبدأ يجمع حوضه في نوع لم يعهده من قبل في الجلوس. مسح عرقه بمنديل أبيض له حافات مخرمة. ابتسم من وجهه الغريب هذا.

II

- تبحث عن هدنة؟

- آسف!

بدا أكثر ذعراً من السابق. شعر أنه ينصت إلى ضجة بعيدة. مثل طلقات نارية داخل بئر. فكر في الاستدارة نحو بارك وقوف السيارات. اعتقد أن دولارين كل نصف ساعة لوقوف السيارات تعتبر سرقة هنا.

- من طبول الحرب. أقصد. الأزيز المزعج لخلايا الدبابير الغاضبة. مكنة العالم الصدئة. بني، أنت تشاهد وحدك قناة المثالية مباشر. تتساقط الشمس على الأرض. خلف كل شجرة. مثل شبكة صيد. تعرف. يقول شاعر بولندي يدعى ميلوش: "الأشجار في الحقيقة آباؤنا. نحن ولدنا من بلوط". أنا سدني ايلمور بواتييه. لست الممثل بالطبع.

- آه. نعم أنا واعٍ هذا. أنا...

جمد في مكانه. خمن أنه كسر حوضه. داس على لغم. خاف أن يطلق بعض الريح. في النهاية، عرف أنه لن يتخلص منه.

- اصمت. لا تتحرك. هل رأيت هذا؟ الفيديو. انظر إليه. لقد كنت أبحث عنه في هذه المناطق منذ أول شيء في الصباح. آه. كم كنت متحمساً لرؤيته! تعرف. لدي مكان خاص له في مجموعتي الشخصية. أنا لا أستطيع تحمل كل هذه الآثار. انظر إلى يدي. إنها ترتجف. لقد نجح هذا الطائر في هز 27 عظمة مثل مريض بالباركنسون. الأمر يشبه الحصول على كرة غولف بتوقيع تايغر وودز. صدقني. لم تنظر إلي هكذا؟ ربما أبدو مجنوناً. أوكي. ربما أنا كذلك. من منا لم يجن بشيء ما. الفرق هو في كيفية التعبير عنه. النجاة من الإدانة. اسمح لي بأخذ بعض الصور. يا إلهي! لا أعرف كيفية تشغيل الزر. ها هو ذا. تك. فلاش. ألا يبدو جميلاً؟ كأنه خرج للتو من لوحة. آسف يا سيد؟ أين كنا؟ عليّ أن أكتب اسمه في مكان ما. الذاكرة. أرجوك. مبالغ في تقديرها. أشبه بآلة الجامبوترون في مباريات كرة السلة. سهلة الكتابة وسريعة الحذف. يبدو لي أنني نسيت اسمك. ثرثرت كثيراً لدرجة أنني لم ألتقطه. واو! أفعل هذا دائماً. أنا مدان حضرة القاضي. لا أجيد التمثيل بأكثر مما يوحيه اسمي. ها أنذا. ما زلت أثرثر. آسف! أنت لا تود أن تلتقي واحداً من طرازي. أملك تلك الميزة النمطية لكبار السن. أها. الأوتاد سقطت. الأنغام تحولت إلى صدى. تركت وحدي بعد انتهاء الحفلة.

أتذكر فقط فصل الصيف من حياتي، والباقي ذهب مع الريح. نفخ مثل بودرة التالك. ربما عليّ قولها لك من دون أن تقفز إلى عدد من الاستنتاجات. أها. نعم الكلام المسترسل. لماذا؟ من الممتع الإجابة عن هذا السؤال رغم أنك قد لا تود طرحه علي. إننا واعون أننا سنموت ولذا نريد أن نعيش في ذاكرة أخرى، في رأس آخر، بعد آخر. ما رأيك في هذا؟ لأصدقك القول، أذكر هذه الإجابة لأنها أعجبتني. سمعتها من مكان ما ودائماً ما أحب ترديدها. نوع من تبرير. عذر شرعي. لا أعرف. يا إلهي! هل ترى كم هو طائر مثالي؟ كم أود أن أشويه في مقلاتي. هاهاها. أنت تضحك. أوكي. بالطبع لا أود فعل هذا. هذا المخلوق أجمل من أن تقحمه في مقبرة الحيوانات داخل أجسامنا. إذن، ما رأيك في كل هذا؟ لخاطر الله آمل أن ردك ليس عن كل شيء. الطير. الفيريو. رسول كيوبيد من دون القوس والنشاب...

- سعدت بلقائك. على ما أعتقد. أنت أول مراقب طيور أتعرف إليه. لا أعتقد أنني تمعنت في أي طير بهذا القرب. أنا واعٍ بالجاذبية التي تملكها هذه المخلوقات. انظر إليه. لا يزال على الغصن نفسه كأنه يعلم أنه مركز اهتمامنا، مستمتعاً بما يقال حوله. يطيل اللحظة التي لا تنطبق عليها قوانين الوقت. ألمحهم في السماء مثل نقط متحركة، أحياء مجهرية وسط عالم البِتري الدش السماوي. تتطاير مثل بصمات ثملة. أعيش في المدينة ولم أعتد أن أعيرها أي اهتمام. ربما فقط عندما تترك بعض بصمات أمعائها فوق سيارتي. الفئران المجنحة. لا أعتقد أن المطارات تشارك شغفك في الطيور. آلاف الدولارات تصرف يومياً لتنظيف مخلفاتها فقط.

- أوكي، تعرف، أعتقد أنها مخلوقات رمزية للغاية. انسَ كل العواقب التي تركز فيها. القدرة على إتقان أبعاد الفضاء الثلاثة. تعتبر بالتأكيد مدار الحسد من قبلنا نحن المدانين على الأرض. طاقتهم السوبرمانية. الألوان البراقة مثل الحلويات لعين المراقب. جمعت كلها في كائن صغير. فكر فقط في هندسة الجناح. يبدو لي من تصميم شيء خارج عن إدراكنا. أنا لست بمتدين لكن الطيور إحدى تلك المخلوقات التي تجبرنا على التواضع. تركب الهواء كأنه "روديو" هادئ. تمتطيه بنعومة مثل كنبة. تغطس في الجاذبية. تستمتع بمنازلة قوانين الفيزياء التي تحد أسنانها على البشر فقط. الطيور هي الأعراف، المنطقة المحرمة بين الأرض والسماء. رمز طموح الإنسان غير المحدود إلى الأشياء البعيدة عن متناوله. رمز الله. كرمه الواسع. عند استحضار كل هذا. نترك عدم التحليق داخل أنفسنا، كأننا الوحيدون مركز الكون. من يفهم هذا العالم - آسف – أعتقد أنني طرت قليلاً عن الموضوع. أوكي. انظر إلى هذا الدفتر الصغير. سأخرجه لك الآن. يبدو أن الزمام عالق. شيء ما حصل له. لا. أوكي. هذا هو. الشيء المهم الثاني بعد جهاز الجي بي اس. أحمله في كل مكان حتى في المرحاض.

أراقب السماء مثل من ينتظر نبوءة يوحنا. أسجل أسماءها، مواقع مشاهدتها، اتجاه الريح، طريقة تصرفاتها، الحرارة، تاريخ رؤيتي لها مع صورة تقريبية بقلم الرصاص وإذا كنت محظوظاً فصورة فوتوغرافية إن لم أُخف الكائن ويركب الهواء. آخر شيء أطالعه قبل النوم أضعه تحت وسادتي، وهو أول شيء أتصفحه عندما أستيقظ. هذا كل ما تبقى لي بعد تقاعدي. انظر إلي. أستطيع أن أرقص التاب دانس بكل قوة. كيف ذلك؟ لا ليس التيكيلا السبب. لم أقرب بول النمر من أربع سنوات. يسعدني أن أملك سلاحاً ما في مواجهة شبح الملل الذي يطاردني في كل مكان، مثل شيء ما قرأته عشرات المرات. لا يساعدك على التخيل، الترقب، وجود شيء ما ينتظرني بمجرد أن أصحو من النوم. في السابق، كنت أنظر إلى شروق الشمس وهي تتخلل النوافذ مثل أصابع نوسفيراتو. أفكر في البصق عليها. صراخ من البووو. كأننا كورس مهتاج في السوبر باول. لم تأتِ بشيء جديد. أنا الآن في كامل طاقتي، كأي عداء شاب في بداية السباق. يوم آخر. طائر جديد سأكتبه هنا. لا يهمك، يا بني. ربما ستجد هذا الموضوع غريباً. أوكي. لكن بعد أن هجرتني زوجتني، بعد خمس وعشرين سنة زواج، وبعد أن تقاعدت من العمل الذي استنزف ثلاثة أرباع عمري، دخلت في دوامة بلا نهاية. كأنني دخلت بعداً ما. لا أجيد عمل أي شيء فيه. أجد أي عذر أرميه على الطاولة من أجل ألا أفعل أي شيء معرضاً كل شيء لفضيلة التشكيك. لم أحلق ذقني في الصباح؟ لم أغسل أسناني؟ لم آكل ثلاث وجبات في اليوم؟ لم أشاهد التلفزيون؟ أشياء نراها من الضروريات. لكن لم نكلف أنفسنا إيجاد معنى أو نختلق واحداً فقط. عليّ البحث عن سبب كل شيء وأغطي عورته بورقة توت وألصقها بالغراء. التفكير في هذا الأمر يسبب لي حكة قد تتطور إلى الذعر. المعنى، يعطيني نبذة مختصرة عن بداية الكون. يرضيني حتى لو كان كاذباً. كم كنت أحب أن أترك كل شيء من أجل لحظة صفاء واحدة خالية من التحديق في النافذة أو من الصداع وحتى من التقيؤ اليومي في الحمام. عالمي الذي هو نسخة كاربونية من الذي قبله. أصحو. أحدق بالسقف. أعد نفس الخطوط فيه. أسمع الضجيج اليومي للحياة النهارية. محاولة جر نفسي خارج السرير مثل ساحر يحاول أن يقنع جثة أن ترجع إلى الحياة. اعتقدت في البداية أنني أعاني من خطب ما. قرأت في غوغل عما أحس به لكنني لم أهتم أو أشعر بالذعر. ذهبت لعمل فحوصات من أجل أن أضع اسماً لاتينياً حول ما يجري هناك. لا شيء. لم يقل لي أي أحد ما لم أكتشفه من قبل. أعرف أنني أكبر في السن. أكبر كل دقيقة وثانية. تعرضت لعمليتين: تبديل ورك وركب جديدة. حاربت السكري وسرطان البروستات. لا أستطيع سماع أي شيء ما عدا المحركات النفاثة. آخذ أربعة عشر دواء مختلفاً. أتحول بعدها إلى رجل لا أتعرف إليه حتى لو رأيته في المرآة. دائخ. أضرط إذا أضحك.

أفقد الوعي كل نصف ساعة. أكون أحترم نفسي عندما أطلق عليها اسم قيلولة. أملك دورة دموية تافهة. لا أكاد أشعر بأصابع قدمي أو بواسيري. لا يمكنني تذكر عمري. هل هو الرابعة والسبعون أم الثمانون. خسرت كل أصدقائي. انظر إلي. أخبرك تفاصيل كأنني من ألّفها. هل سمعت هذا. آمل أنك فعلت. ايكس موربو كونفاليسيري. الأغاني. موسيقا عودة المريض إلى الحياة في جهاز الإنعاش. بني. هل تعرف أن طائر الثراشر البني يملك ألفي أغنية مختلفة. نعم. أنا لا أخدعك. ما سمعته صحيح. نفس عدد أغاني البيتلز مجتمعة. ديك الزيك في الأساطير التلمودية، الذي يقف على الأرض ومنقاره يلامس النجوم. سماء إبراهيم. صياح يسعد الرب ويهدئ من أعصابه. في يوم من الأيام - لا ليست قصة - أتذكر أنني سمعت اقتباساً أعجبني، اقتباساً آخر. لكن بطريقة ما أنسى من كان قائله. هل هذا نوع من الكلبتومانيا. يعني أحب السرقة وأخدع عقلي لفعلها. كأنني أسرق حياة. أوكي. "الطير لا يغني لأنه يملك جواباً؛ هو يغني لأنه يملك... إجابة". ماذا تقول بهذا؟ كنت أواجه العالم بفك مطبق. حتى عندما كنت أدرد بلا أسنان. لا أملك أي سن كبر معي. فتحت فمي. هكذا فقط. أطبقت على العالم أنهش فيه. أوكي. بعد هذا العمر الطويل اكتشفت أنه لدي بعض الرغبة في الحياة. لم أصل بعد إلى بقايا القهوة في الكوب. أحب الشرب بهدوء. أستمتع باستمناء لساني. لقد عدت إلى البيت يا عزيزتي...

يقال أن داخل كل كبار السن ولد لا يعرف ماذا يجري. عندما سكت، اعتقدت أنه فقد حاسة السمع. بدا أنه مرتاح لهذه الفكرة. لا يزال يستمع لأغنية الفيريو. آمل أن يكون شغفه معدياً. أود أن أحب الحياة مثله.

- إذن. كيف بدأت لديك هذه الهواية؟

- تعرف. الجميع يعرف الطيور. يسمعون غناءهم هنا وهناك. لا أحد منهم يعرف الفرق بين كل واحد منهم. هي تغني في حالتين فقط: الحب والحرب. عندما يذهب الإنسان العادي إلى الحديقة أو البارك يسمعها. ربما لن يلاحظ الفرق. ربما تعجبه أو تقرفه. تعرف، الجميع يملك ذائقة موسيقية. ربما هي نوع من الليمفوما الروحية أو ما شابه. تريح انتصابك مثل كرسي. تسرع من دقات كأنك على حصان سباق. لنرجع إلى البداية. لا. ليست البيغ بانغ. هههاي. بدأ الأمر، نعم، ربما من سبع سنوات حين كنت في مأتم "يقظة" حول أحد الأصدقاء الذين خسرناهم في حرب العراق الرابعة. كنا جالسين في بيته. نواسي زوجته وأولاده. دهمتني نوبة ذعر من نوع خاص. كنت غير قادر على تحمل كل تلك المشاهد. البعض وجدها فرصة مناسبة لكي يعرف عن شركة المحاماة التي يعمل فيها. البعض الآخر يبحث عن فرصته الكبرى في العمل في أحد البرامج الحوارية النهارية. يا

إلهي! هذه سموم متوارية على شكل قصص وتفاصيل. كان عليّ البحث عن طريق الخروج من هناك. النزول من الباص المزدحم. خرجت بحجة أنه علي أن أحرك ساقي. جلست على كرسي بلاستيكي بالقرب من مشواة لحوم مهجورة. تذكرت أنني أكلت عليها نهاية العام الماضي. سمعت صوت زقزقة غريبة. انتبهت. بدت مثل موسيقا تصويرية لمشهد حين يكتشف البطل سراً غائباً عنه. بدا لي عذراً لكي أقوم من الكرسي الذي آذى مؤخرتي. بحثت عنه هنا وهناك. اقتربت من السياج الذي يفصل بيت صديقي عن حديقة الجيران الخلفية. لم أكن رأيته بعد. سمعت صوتاً نسائياً ينادي علي: هذا شمعي الجناح. لم أكن لمحته بعد. اعتقدت أنها تخبرني عن شكله. "له تسريحة شعر غريبة مثل مغني ميتال روك من مع شريط أسود يغطي عينيه". لم أقهقه. أردت هذا ولهذا بحثت عن صاحبة هذا التصريح لكي أستطيع الضحك. بدا الأمر غريباً أن تضحك من نكتة سمعتها في الهواء. أين هي؟ لذا منعاً للإحراج فكرت أن أتراجع وأنضم إلى المسرحية مرة أخرى. خرجت من الدغل. ربما كانت تختبئ هناك. امرأة حمراء الشعر. في بداية الثلاثينات. لها وجه غريب. أعني مستدير. أبيض مع مسحة من الحمرة المحببة. شفاه محددة بدقة. عيون تقدح باللون الأزرق الغامق. أعني فكرت أن أطلب منها التوقف عن الكلام وتتركني أتنزه قليلاً في وجهها. كنت مستعداً أن أترجل من جسدي وأسبح هناك. لا أريد أن أبدو منحرفاً أو غريباً مثل رجل يكتب نعيه بيديه. ترتدي قبعة خاكية وبنطلون جينز باهت اللون مع تي شيرت رياضي يحمل ماركة فريق اللايكرز. كاميرا ومنظار يتدليان فوق صدرها الصغير الذي يبدو مثل كرتي مضرب يتحركان معاً. مراقبة طيور كما عرفت عن نفسها. إن كنت لا تعرف، فإن هذه الهواية تضع صاحبها في خانة غريبي الأطوار مع المهرجين والعاملين في التحنيط والكاثوليك، كما آخر دراسة اطلعت عليها. غالباً بيض البشرة. أكبر من خمس وأربعين سنة. متعلمون جداً. اعتقدت في البداية أنها أحد سكان الحي. كنت على خطأ. لا تعرف أي أحد هنا. هي من سكان مينيتونكا في ولاية مينيسوتا. لم ترَ عتبة بيتها من سبعة أشهر من أجل "السنة العظيمة". لم أعرف ماذا يعني هذا؟ ربما مصطلح سري لا أحد يعرفه. لتكمل لي أنها مسابقة غير رسمية بين محبي الطيور حول من يستطيع أن يحدد أكثر عدد ممكن منها في مساحة جغرافية معينة. جذب انتباهي نبرة صوتها لأنني لم أسمع أي شخص يتحدث عن أي شيء بحماسة وعاطفة مثل اللكنة الروحية التي خرجت من أوتارها الصوتية. ممثلة مسرحية في لحظة تجلٍ. مونولوغ عن شخصية ربحت مليون دولار وتشرح للحضور عن طريقة صرف المبلغ. تركتني من دون وداع. مشت منحنية كأنها تحاول أن تمشي مثل الغوريلا. باباراتزي يبحث عن لقطة غير محترمة لأحد الممثلين. خلال ستين سنة لم أشعر بأي حب سوى للجنس والسيارات. آسف

يا سيد. يبدو أن اليوم ليس يوم سعدك. ها أنذا ما زلت أثرثر. لا أعرف إن كنت أذكر اسمك. حتى لو قلته لي لربما نسيته الآن. لا أعرف ماذا يمكنني أن أطلق على هذا؟ لا يمكنك أن تنظر إلي هكذا. لست مصاباً بالزهايمر. لا. رغم أنه جميل لو كنت كذلك. أعرف بماذا تفكر؟ كل ما في الأمر أنني دائماً ما كنت ناجياً من شيء ما. لكن كل نجاة هي خسارة. أعرف. ربما لا أحد يدرك هذا. خسارات عائلية إلى زواج فاشل إلى ابن مفقود. إلى... عليّ رفع طولي من أمامك وإكمال طريقي. لا تريد أولد فارت يخرب يومك كما افعل الآن. أعرف. كبرت مثل صاروخ تشالنجر. وسقط بسرعة مثل غصن مكسور.

نظر نحوي بنظرة ذات دلالة سرعان ما تخلى عنها. كور قدميه وجلس على الأرض مثل ساحر هندي. أخرج غصناً يابساً من تحته. وضعه فوق سطح الماء وراقبه ثواني. يبدو لي كأنه يستمتع بهذا. مثل نادل أعطي بقشيشاً لم يتوقعه. غريب!

- لكن. هل أستطيع أن أسأل ماذا تفعل وحدك هنا؟ لأنني اعتقدت في البداية أنه ربما تكون هارباً من السجن. قاتل متسلسل. لكن حين راقبتك لوهلة، ملابسك أو ذقنك النظيفة، هي لا تشي أبداً بما فكرت فيه. عبرت نعومة يدك عن طبيب، شخص يمتهن الكتابة. في كلتا الحالتين رجل هويته تكمن في تلك الأصابع العشرة. هل أنا محق؟

- وامب. وامب. ماذا؟

- أها. لا تقل لي إنك شرطي. نعم. أنت محق. هذا مثير فعلاً. أنا كاتب. من دون أي رغبة في التفاخر. أو أحاول أن أكون. شبح، لأكون أكثر تحديداً.

- شبح!

- كاتب شبح.

- لكن ولم لا تكون كاتباً شبحاً لنفسك أفضل من أن تكتب لشخص آخر؟

- لا أعرف. تعرف شيئاً. لدي ذكرى مبهمة عن ساعة جدي التي توارثناها عبر ثلاثة أجيال. مصدرها؟ من أين أتت؟ لا أحد يعرف. لكن كان هناك اتفاق. ربما إشاعة متفق عليها، أن جدنا الأكبر سرقها من عشيق حبيبته. أعرف. الموضوع بدا معقداً للخوض في تفاصيله. كنت في السادسة أو السابعة داخل ستوديو أبي أبحث عن شريط لاصق عندما وجدت هذه الساعة في أحد أدراج مكتبه. شهقت عندما ظننت أنها نفس البوصلة السحرية في القصة التي قرأتها قبل ستة أشهر، والتي استعرتها من مكتبة أمّ أحد أصدقائي. لا أذكر ماذا كان عنوان الكتاب؟ البوصلة في القصة كانت تجيب عن الأسئلة التي تؤرق حاملها. لكن. لم الشريط اللاصق. هذا سؤال آخر لا أعرف

الإجابة عنه؟ تشبثت بالساعة. خبأتها تحت وسادتي. لم أكشف عنها خشية أن يأخذوها مني. قبل أن تجيب عن جميع الأسئلة التي يمكن أن تهم أي طفل في نفس العمر: التنانين، الفتيات، الديناصورات، موت حيواني الوحيد. لم يكن يهمني أنها لم تعد موجودة وأنها خطة تسويقية كما اعتادت مدرسة التاريخ أن تقول. أعطي الأصوات. أجد بعض الراحة في أفكار الغير. آخذ بعض العزاء في الوقت والفضاء لإيجاد الكلمة المناسبة لكي تستلم القيادة. تضع باقي الأفكار الأخرى على النسق الصحيح مثل باث فايندر. أجد الأمر صعباً عندما أبحث في أفكاري الداخلية. يبدو الممر زلقاً مثل حبل مربوط بين قمتين. أمشي بسهولة عندما أكون تحت رحمة رأس آخر. في رواية برايان سيلزنيك "اختراع هيغو كابريه" يشبه الناس بالتروس، الأحشاء الميكانيكية للساعات، حيث لدى الكل وظيفة محددة في كيفية تسيير آلة العالم الضخمة. إعادة الحياة للموتى. البعض لديه رأس مثل خلية نحل. مشغول. ضخم. لكن لا يستطيع أن يخرج من هالة الخرس التي تحيط به. أي شيء مثير أضع الصوت له. أدبلج لغة الغوبليديغوك بلغة مفهومة. أضع النوافذ لروحه. أهوي رأسه. أحصد حقول الذرة التي نضجت منذ زمن طويل لكنه كان أكثر انشغالاً بالعالم، أكثر من نفسه. أقترب من ظله أكثر. أضعه في بيت الفيولين. أقول له: اعزف من دون آلة. سألت أحد زبائني عن سبب رغبته في مشاركة العالم بما يفكر فيه أو كيف عرف أن حياته مهمة ولم يرد فضحها في كتاب، أو يعري مجهوليته المحسود عليها في ألبوم صور ويرميها في الشارع بآلاف النسخ. في كثير من الأحيان الإجابة تكون نفسها. أكثر الزبائن يقضون سنوات عمرهم في جمع المعلومات والخبرات والأخلاقيات. يمكنني القول إن قانون الكتابة الشبحية لم تخرج عن قصة الحياة، النجاح في أحد الأعمال، التجربة التي تعرضوا لها ونجوا منها، الكشف الروحي، الرغبة في مساعدة الناس وفق رأيهم. هكذا إذن. الإجابة التي كنت أعمل عليها في مواجهة العالم. سئمت من أفكاري. لا أعتقد أن الأمر له علاقة بالثقة في النفس من عدمها بقدر ما هي معرفة محدوديتنا. أنا قطعة من النقد من زمن الحرب الأهلية. المسافة الزمنية هي من تمنحها القيمة. ما زلت أحاول أن أجد طولي وسط السماء. لا أعتقد أنني أجيد التفرقة بين الطموح والغباء. لأصدقك القول لم أجد القبح الفاصل بينهما. حتى لو كان مجهرياً. تعرف يا سيد بواتييه، ما زلت أحس بهذا الولد في مكان ما داخلي. يتجول هذه الأيام بجسد رجل في الثلاثين لا يزال لم يحقق أي شيء في حياته. سيأتي الصباح لا محالة مثل المقص وسيحيل خيم أحلامه إلى قصاصات وسترمى في شباك الريح من دون أن يعلق حكم المباراة بأي ملاحظة. أصبح وجودي معلقاً في الهواء من غير معنى. كالطبيب النفسي الذي لم يجد الراحة في الاستماع إلى شكوى الآخرين الباحثين عن آذان تستمع إليهم من دون أن تدينهم. أشبه باقتناء

الحيوانات الأليفة. تعرف، لم نربها أو نعتن بها لأنها غير مبالية بأي شيء نملكه، غير مهتمة بما نحتاجه أو نريده. أهم جانب فيها المواساة. أولوياتها وأخلاقياتها بعيدة تماماً عن ما يدور داخل رؤوسنا. نستثمر ونقامر في كل شيء داخل قبضة يدنا. الروح والجسد. النساء التي نحب. المستعبدات بالحب الذي لا يعني للبعض سوى نخاسة من نوع آخر. البعض يحب الأرقام الفردية. لديه مسؤولية عن عدة أشخاص. يحب التحدث عن نفسه. قد يقصدهم. يدعي أنه يتحدث عنهم أيضاً. أعاني من المرارة الروحية. أنا على مفترقي طرق. مثل المشكلة اللغوية التي دائماً ما أجد نفسي فيها بين التضمين والترميز في اللغة...

شعر أنه لم يفهمه. ربما كان يبحث عن المواساة. ما قرأ في وجهه هو عدم التعجب. لا بدا أنه يشعر بعدم القدرة على قراءة ما يفكر فيه. كان فقط ينظر نحوه كأنه يفكر في شيء ما بعيد عما يقال الآن.

- بني، كبر السن يضعفنا. نحن القارب المثقوب الذي يتوارى شيئاً فشيئاً تحت السطح. أحلامك زيوت تعيد تسليك مفاصلك الصدئة. بني، واضب عليها. أطعمها بحق يسوع المسيح. لا تكبر أبداً. إن فكرت في عملك، أموالك التي في البنك، كيف تستثمر الوقت، فهذا يعني دليلاً على النضج؟ لا. لا أحد منا اختار فعل ذلك. نجبر على أن نلائم تطلبات المجتمع من أجل تقبلنا. إذا عشنا في عالمنا الخاص، عالمنا الأدبي الذي يتوسط بين الجلد والروح، لا أحد يستفيد منا. نحن نفطم من أحلامنا لنتجه نحو ضرع آخر نمتص منه الخيبة والخوف. رؤيتك لنفسك هي من تجعل العالم مرضياً عنه كأنك خياط تحاول أن تعالج ترهله. لكي تلبسه أحد بدلاته. تفهمني؟ الأحلام عظام وجهية تميزك عن الآخرين. سبعة أشخاص يشبهونك في هذا العالم لكنهم لن يأتوا بمثلك أبداً. لم؟ بسبب الأحلام، العملات التي يصنعها رأسك. هذه ما تميزك. المشكلة أننا نكتشف ذلك بعد فوات الأوان. لا أحد منا على حقيقته. الجميع يؤدون دوراً فرض عليهم. كن رحيماً بالناس. بعضهم يموتون من دون أن يعرفوا أنفسهم.

- يقال أن الأكاذيب هي التي تدر المال. الحقائق لا أحد يبدو مهتماً بها. الكل يدفع الثمن. رسوم دخول. قول الشعار. لا أعرف بالضبط. لا أحد. لا أحد. سيد بواتييه يحب أن يكون منبوذاً من الجميع. لهذا تكونت الأديان. صنعنا نوادي الروتاري. لا تنظر إلي هكذا. وعيت الدرس. جدتي تحب قراءة كتب المذكرات لأنها تستمتع بأخطاء الآخرين. أعتقد أنني ورثت منها. لا. لهذا أحاول أن أكون كاتباً. الأمثلة مجانية. الجميع يتحدث عن أخطائهم. فائدة المجتمع هي أننا نغتسل من أخطائنا بطريقة بيلاطس البنطي. أعتقد أن رأسي مثل ابن من صلبي. أحاول تغذيته. أعتني به. من دون أن

يقامر بوجوده ويغادر الأرض. ليست مصادفة أن البشر لا يستطيعون العيش خارج هذا الكوكب. مجتمعاتنا كذلك. كل من يغادرها لديه هوس ما بقوانين الفضاء. نعم. هكذا الأمر. الجميع يريد أن يهرب. لا أحد يريد أن يقف ويكافح ويواجه.

- لا أحد منا على حق. نحن نمثل ازدواجية العالم. الفوضى التي ولدنا فيها. الأمثلة لا تعد ولا تحصى. الرغبة والفعل. الفعل ورد الفعل. العنف والثورات. عليك ألا تنسى هويتك التي ولدت بها. الجميع يبدون هكذا. المجتمع يهجننا. يأخذ من هذا وذاك من أجل أن نديم ديمومته. نحن نتاج شخصين ولذا من الطبيعي أن نشعر بكل هذه التناقضات. أنت أحلام أمك وأبيك تمشي على قدمين. انظر إلى هذا المكان. مثلاً لو تنازل عن كل يميزه، الغلالة الرقيقة من السلام التي تكاد تسمع خفقات قلبك مثل جناحي طائر، السلام الذي له معنى ويمكنك أن تتذوقه بطرف لسانك مثل نبيذ معتق، لا يزال يحمل هذا النوع من الهدوء الحيواني النقي الذي لا يخفي شيئاً تحت غلاف الشوكولاتة الخارجي. ما تراه الحقيقة. لا تثقل رأسك بالبحث عن التالي. آتي إلى هنا منذ زمن طويل. رغم أنه.... تعرف. أنا وهو لدينا تاريخ يجمعنا. ربطنا في مأساة حدثت منذ زمن طويل. تواظب الطيور على الجري إلى هنا بسنارتها اللامرئية. أنا السمكة التي تجري خلف الطعم. الفيرمونات. هل هناك بنوع من المصادفة مررت بشجرة كبيرة تقف وحدها وتحيط بها أمتار من الأرض الفارغة التي لا يوجد فيها سوى العشب القصير، رأيتها؟ لا. أوكي. مرت سنوات عدة على هذه التفاصيل. آخر مرة رأيتها رسمت عليها رمز الكشافة. استخدمت سكينة الجيش السويسري لحفر مثلث تخرج منه يدان من الضلعين. أوه. آسف، يا بني. يبدو أنني أواظب على إزعاجك. عليك عذر كبار السن يا بني. أي حوار بسيط مع الناس يمثل وجبة دسمة لن تؤذي الصحة أبداً. النشاط الوحيد الذي لا يمكنك أن تفحص الكوليسترول بعده. حسناً ربما هو للآخرين أكثر منا.

- لا أمانع أبداً الاستماع إليك سيد بواتييه. أنا أحب أن أكون هنا. أعيد شحن رأسي. غالباً أحتاج إلى هذا. روائح الطبيعة، البحيرة الساكنة، تجعلني أنسى بسهولة حتى لو جلدت منذ دقائق. أمزح. هههه. لكن. تعرف أنك تذكرني بموفي ستار، ريتشارد فارنسوورث. نعم. أنا ما زلت أتذكر اسمه. شاهدت فيلماً له منذ زمن: قصة ستريت. يتحدث السيناريو عن رجل اسمه ستريت يقود جزازة عشب 240 ميلاً لزيارة أخيه المريض. هل عرفته؟ موضوع الفيلم الرئيسي عن الكبر في السن في هذا العالم الذي لا يزال يحافظ على شبابه. انتهى بالممثل الرئيسي إلى إطلاق الرصاص على نفسه في الحياة الواقعية...

قام. بدا جسمه رياضياً عندما نجح في هذه المهمة بأقل جهد مرئي. هبة ريح مفاجئة. خرخشة أوراق الأشجار. شم رائحة أخرى. بدا أنه ممتن لها أكثر مما قبلها. فتح يده اليسرى وهو يرفعها مثل حركة صدام حسين. حرك إبهامه كأنه يضغط على زر التصوير في كاميرا غير مرئية. ابتسم له. وضع كلتا يديه في جيوبه. أخرج يده اليمنى. أشار نحوه. بدا وجهه منشدهاً كأنه تذكر شيئاً للتو.

- أها. أعتقد أنني عرفت من تقصد، الممثل الذي يشبه مغني الكونتري ويلي نلسون أليس كذلك؟ غريب أن تقول ذلك. انظر...

توقف. استغرق قليلاً. لم يرمش. تركه في هذه المهمة. بدا كأنه يحاول أن يتذكر.

- الشجرة. الرمز... التي تحدثت عنها قبل دقائق. شجرة معمرة تقع في نهاية ممر ضيق يسمى طريق الماعز. هناك. قضى أخي الصغير على حياته هناك. كان أحد المتنزهين يبحث عن كلبه من نوع ازواخ. كان يعدو خلف أرنب بري شاهده يخرج من أحد الجحور. أرنب عيد الفصح اللعين. الغريب في الأمر أنه وجد الكلب متكوّماً على الأرض. فقد من الدم الكثير، على بعد ياردات من جثة أخي الصغير. اعتقد المتنزه أن أخي انتحر بإطلاق النار على نفسه ليصيب الكلب معه في حادثة عرضية. لكنه لم يؤكد أنه سمع إطلاق النار لأنه يضع هيدفوناً لسماع نتيجة مباراة البيسبول. لا أعرف ماذا يفعل بين الأشجار؟ لا البحث عن إرسال جيد من أجل رسالة نصية. مات أخي قبل أيام من حادثة الكلب. أعرف كيف مات. آه. نعم يا للحيوان المسكين! لا أحد يعرف ماذا جرى له؟ يقال أن كل من انتهى بالاعتناء بأحد من كبار السن سيعاني من الاكتئاب في نهاية الأمر. عانى أبي من الزهايمر فترة طويلة. اعتقدنا أننا سننتهي على كرسي متحرك في مؤسسة للاعتناء في كبار السن. نراهم يحدقون في النافذة. يموتون بصمت. ليست الحياة جميلة. ليس هذا ما حصل لأبي. بدأت أعراضه أول مرة عندما دخل في الخمسينات من العمر. لهذا أحضرنا له ممرضة أوكرانية لتعتني به لأننا جميعاً مشغولون. أعمالنا، حياتنا، نعمل من أجل الآخرين. تعرف ماذا كانت تفعل؟ اللعينة كانت تواظب على تعذيبه. لم تعرف كيف تصد محاولاته في قول ما يفكر فيه. يحب مناقشة كل شيء يخطر على باله. حتى أنه اعتقد أنها زوجتي ولهذا يحب أن يروي قصصاً عن طفولتي لها. شعر أخي الصغير بالذنب بعد أن وجد كدمات في صدره ورقبته. وبعد أن نقلناه إلى المستشفى قيل لنا أنه تعرض للاعتداء الجنسي والتسمم. كانت تطعمه من برازها ثلاث مرات يومياً وتعتدي عليه باستخدام فرشاة الحمام. لا يمكنك التغاضي عن الموضوع. ترك دراسته الجامعية بعد استدعائه إلى الحرب. لم ينتهِ الأمر في حربي العراق التي لم يكد يخرج منها سالماً لتتم إعادة انتشاره في وادي حمرين في الشمال. خريف 1960 تركنا البيت الذي ولدت فيه في جاكسون كاونتي في ترانسيلفانيا

إلى كيل ديفل هيل في مقاطعة دير. لم يعرف أبي كيف يتصرف بعد الذي حصل في عائلتنا. اعتقد أن فكرة الانتقال من البيت ليست سيئة تقديراً للعواقب التي استمرت في التواتر بعدها. كنا في عام 1959 على وقع دخول كينيدي إلى سباق الرئاسة. بعد أن اختار شعاره الذي جذب الجميع إليه: "أنا من مواليد هذا القرن". كيف كانت جميع الصحف تتحدث عن الكبسولة السوفياتية التي نجحت في الخروج من مدار الأرض والتي حملت اسم متشتا. داخل بيتنا كانت الأمور تجري في عالمها الخاص كما هو متوقع منها. لاحظت أن أمي تتصرف بطريقة مفككة، مثل من يرتدي خوذة على رأسها في عالم يحتاج إلى نوعية فاخرة من الأكسجين. تحاول أن تربط بين تحديقها في النافذة وبين تشطيف الأواني في حوض الصحون. أتذكر كيف توقفت عن الحراك. ناديت عليها. لا أعرف إذا كنت قد شعرت بشيء ما ليس في مكانه الصحيح؟ أنزلت الصحن النظيف. رمته وسط رغوة سائل التنظيف في الحوض. خلعت مريلة المطبخ ووضعتها بطريقة آلية فوق الكرسي. سمعت الباب يغلق خلفها. راقبتها من النافذة تتجه نحو جارنا الشرطي الذي يقع بيته أمامنا. كان أبي على علاقة مع زوجته من أشهر. قررت أمي في ذلك اليوم التعرف إلى شريكتها في أبي من مسافة تفقدية قريبة. التقى والداي بعد أن رجع أبي من الحرب العالمية الثانية. وكانت أمي تقوم بزيارات تفقدية باسم الكنيسة المعمدانية لدعم جرحى الحرب. تقرأ الصحف اليومية و**الكتاب المقدس** للعميان ولمن لا يجيدون القراءة. ادعى أبي أنه لم يدخل المدرسة في حياته. طلب منها أن تقرأ له رواية "جوني حصل على مسدس" لدالتون ترامبو. تتخيل الأمر؟ جريح في حرب يدعي أنه لا يجيد القراءة يطلب من فتاة أن تقرأ رواية عرفت أنها معادية للحرب لأنها كانت تعجبه. ماري نموذجية كما يقال عن الفتاة المتدينة في تلك الفترة. اعتقد أبي أنه فاز باللوتو بالحصول على فتاة غرة مثلها. لكن الزمن أشبه بصعود سلالم الباغودا. التعب هو ما يمتص العسل من المعنى. أنجبت أمي أربعة أولاد ولم ينجُ سوى اثنين. نصفهم فُقدوا عبر أمراض تنفسية ورثناها عن جدتي من أبي التي ولدت في بولندا. كسر أبي شخصية أمي وحاول أن يجمعها بمكنسة. كان يبحث عن أخريات أم عاطفة جديدة. كان الأمر مثل طبيعة ثانية له. قدرت أنه يقيم علاقاته بعيداً عن البيت لأنه يعتبر الحياة الزوجية مقدسة. قامر أبي بقدرته على المضي قدماً بالحظ الذي اعتقد أنه يفيض منه. تعرف إلى زوجة جارنا الشرطي بعد أن ساعدها في أحد الأيام بعد تعرضها إلى حادث في حديقة بيتها حين علقت قدمها في سياج الحديقة الخلفية. ماذا؟ المرأة في نهاية العشرينات. عشقت أبي لدرجة أنها وافقته على تدبير شيء ما لقتل أمي. لا أعرف إذا كان هذا التفصيل حقيقياً إن لم يكن من تدبير محاميها من أجل إخراج موكلته من القضية. خرج أبي من الحجز بعد أن وصلت التحقيقات معه إلى طريق مسدود،

لتشنق المرأة بعد ثلاث سنوات في سجن سان كوينتن. وقتها لم أتجاوز الخامسة من العمر أو قريباً من السادسة. عندما رأيتها تعبر الشارع خرجت خلفها. سمعت بكاء أخي الصغير. من دون أن تلتفت إلى اليمين أو لليسار عبرت الشارع. طلبت مني أن أعتني به إلى أن ترجع. بدت كأنها تمشي على جسر ضيق. دقت الباب. خرجت تحمل بيدها مكنسة. تراجعت إلى الداخل قبل أن تدعوها إلى الدخول بحكم العادة. كانت تلك آخر مرة أراهما معاً. رجعت إلى البيت. صنعت قنينة حليب وحملت أخي إلى سريره بعد أن غفا في حضني. انتظرت رجوعها. أخذت من أحد أصدقائي نسخة جديدة من قصص الكابتن فلاش يذهب إلى روسيا. فكرت أن أقرأ فيها بعض الوقت. كان عليّ أن أدخل إلى غرفة أخي لكي أطمئن إليه. الساعة في المدخل دقت أربع مرات معلنة تأخر أمي ساعة ونصف. راقبت بيت جارنا من نافذة غرفة أخي لأنها تطل على حديقة بيتنا الأمامية وباب المطبخ لبيت الجار. المكان هادئ. كأنني أنظر إلى صورة فوتوغرافية. هذه أول مرة تغادر أمي البيت من دون مرافقة أبي. كانا يخرجان معاً للتسوق في المركز التجاري. الكنيس في يوم السبت. بدأ الموضوع يخيفني لأنه ببساطة لم يحدث من قبل. لم أرتح إلى مكوثي في البيت وحدي. لم تفعلها أمي من قبل. فكرت في الاتصال بأبي في عمله. لكنها قد ترجع وسيغضب أبي مني. راقبت وجه أخي الصغير، رائحة براءته الجميلة، صدره الذي يتحرك بهدوء. حدقت إلى الخارج. بيت جارنا مرة أخرى. رأيت زوجة جارنا تقف أمام الباب الخارجي. تحدق في الشارع جامدة في مكانها. مرت شفي جيس. راقبت السائق بضع ثوانٍ قبل أن تختفي السيارة في الاستدارة. رفعت رأسها نحو بيتنا. لا أعرف إذا كانت لمحتني. اعتقدت أنها كانت تبكي. انحنى رأسها على الأرض لترجع إلى الداخل. نزلت إلى الطابق الأرضي. جلست على طاولة الطعام في المطبخ متوقعاً دخول أمي في أي لحظة. بعد نصف ساعة فتح الباب بالفعل. دخل أبي بعد انتهاء عمله. يعمل في مكتب للتجنيد تابع للجيش الأميركي. سألني عن أمي؟ أخبرته أنها خرجت. وضع حقيبته وقبعته في المدخل. لم أكن متأكداً أنه سمعني. لهذا جريت خلفه. اقتربت منه. جررته من سترته التويد. أخبرته أن أمي ذهبت إلى بيت جارنا منذ وقت طويل. حدق فيّ. ضحك متفاجئاً. لكنها بدت متوترة غريبة غير مريحة. ماذا؟ كأنني بدوت كاذباً في عينيه. حاجباه يتلاصقان معاً في تكشيرة غريبة. سمعت أخي الصغير يبكي. ذلك اليوم نام أكثر من أربع ساعات. هذا رقم قياسي جديد لم يصل إليه من قبل. التفت أبي إلى الخلف نحو نافذة المطبخ. كأنه سمع طرقة من الخارج. نظرت إلى السقف. رأيت أبي يمشي خطوات وأطل من النافذة. هل كان يريد أن يتعرف إلى الجو خلف الزجاج القذر. وصلت إلى الدرجة الرابعة في السلم عندما سمعت الباب يدق مرتين. كنت متأكداً أنها أمي. لهذا صعدت إلى الطابق العلوي لإنزال

أخي الصغير إلى الطابق الأرضي. كنت أريد أن أريها كم أديت واجبي واعتنيت بأخي وحدي. وضعته على الأرض بجانب الدب تيدي الأعور في غرفة المعيشة. اتجهت نحو المطبخ. رأيت أبي يتحدث مع رجلين على الباب. فوجئت بوجود ملابس رسمية زرقاء داخل البيت. أحدهما لمحني. الرجل القصير بخدود منتفخة. توقف عن الكلام. التفت أبي نحوي لأرى أن عينيه أكثر احمراراً من المعتاد. صرخ بي أن آخذ أخي وأذهب إلى الطابق الثاني. لا أعرف كيف نجحت المرأة في خنق أمي وهي أصغر منها؟ وجدوها في القبو مقطعة إلى عدد من الأجزاء وبجانبها أكياس من النايلون ومساحيق تنظيف. لاحظ زوجها وجود ملابس داخلية غريبة في غرفة المعيشة مبقعة بنقط حمراء. سأل عنها؟ عرف بحسه الوظيفي أنها تتصرف على غير عادتها. كانت تحاول أن تطلق نكتة وتصنع وجبته المفضلة. يقول إنها كانت لا مبالية، بأعصاب منفلتة في بعض الأحيان. وعندما ضغط عليها، قبل أن تنظف نفسها مما جرى وتعترف بما فعلت... أوكي. لا أعرف؟ أحب أن أتبع أن ما أريد وأفعل ما أحب. هذا ما كان يدفعني إلى الصراع المتكرر مع الرجل القديم. لم أحر جواباً حين سألني أخي ماذا سنفعل مع أبي بعد أن ضبطناه يأكل غائطاً في سندويتش. لم يفقد أعصابه عندما طرد الممرضة من العمل. قال لها إنها ستعرف عواقب ما فعلته عبر المحامي. سمع أبي يطلب منه فردة الجوارب الثالثة. انخرط في نوبة بكاء. فوجئت به. اعتقدت أنه يبالغ في الأمر. لم يكن هذا السبب. لا أعرف من أين أتت له عقدة الذنب تلك. أقول لك: لم أرَ شخصاً مكبلاً مثله من قبل. حتى أن طريقة مشيه غريبة. ظننت أنه يغرق. لم أعرف العمق الذي وصل إليه. تعرف ماذا يقال عن الاكتئاب. "عاصفة من العواء في الدماغ". لا أعتقد أن أخي قادر على تحمل هذا. المحافظة على جلده الحريري حتى نهايته. ترك أبي في بارك يقرأ صحيفة. اشترى أصفاداً من محل لبيع الألعاب الجنسية. مشى أميالاً. قيّد نفسه بالشجرة. اعتقد أنها بعيدة عن طرق المتنزهين. قال الضابط التحقيق إنه تراجع عن فكرته ومات من كثرة التعرض للشمس والجفاف. كيف عرف هذا؟ توجد حزوز مقاومة على معصمه ولحاء شجرة داخل معدته. أراد أن يأكل غصن الشجرة الذي عرضه نصف متر من أجل أن ينقذ نفسه. لا يهم، يا بني. أقصد. ليس بعد الآن. تلك المحاولة السابعة والأخيرة له. حاولت مساعدته نعم. أردت ذلك من كل روحي. لكن فشلت في هذا. ليس بالأمر المهم لأنني تعودت الفشل في كل شيء. زواجي. إيجاد ابني الوحيد. لا، بني. هذه قصة لا أستطيع روايتها لك، لأنني وقودها. لا يزال في هذا الجسد المترهل بعض الأنانية...

رفع رأسه للأعلى محاولاً أن يخنق دمعة في عينه اليسرى. خرجت على أي حال. كرة زئبق صغيرة تدحرجت على خده المزغب. أخرج من حقيبة ظهره منديلاً أبيض مخرماً وقربه من عينه.

- آسف. بني، حدث هذا الأمر منذ سنوات طويلة. لا يزال لها نفس التأثير في كل مرة أروي هذه القصة. آسف على الدراما. أعرف أنك لم تتوقع هذا عندما خرجت تبحث عن الهدوء.

توقف في البحث عن أي مفردة تناسب حالته. ظل ينظر إلى عينيه كأنهما مضروبتان بلكمة لا مرئية. بكى وحده. تجاهله للحظات. بدأ يحرك أصابعه مثل كمن يعزف شيئاً غير مرئي. حك جبينه. مسح عينيه مرة أخرى. لم يقل أي شيء لأنه لم يجد بعد المفردة المناسبة للمواساة.

- نحن بشر من زجاج. نقوم بمصادقة الحصى والحجارة. الكل عدو لنا. لا نعترف بذلك أبداً. حتى إصبعك الصغير هذا، في يدك اليسرى... آه. أعتقد أنني سمعت صفيحتك الرسغية ترن. أوكي. لا تهتم بي. سأرحل من هنا بعد أن رأيت طائري العزيز لأنني وضعت سيارتي بعيداً من هنا. سأنسى مكانها لو لم أسرع. أعتقد أن السماء ستمطر بعد... ربما عليك أن تغادر المكان. حسناً. بعد ساعة من الآن أو أقل. لا تسألني كيف عرفت؟ سر المهنة. أوكي. الموضوع ليس أنني وسيط روحاني أو أي شيء من هذا القبيل. أعمل في الأرصاد الجوية. لا. كنت. تعرف. ربما على الجميع تعلم شيء من المناخ. لا يهتم بكل هذا النقد. هو دائماً ما يواظب على العناية بنا. بأكثر الطرق درامية. سررت بالحديث معك. غوووود سبييد.

- أراك في الجوار إذن!

- آمل ألا أفعل. من أجلك. وداعاً مستر شبح.

نهض بسرعة وهو يحمل نوعاً من الابتسامة تغطي فكه المنحرف قليلاً على جهة اليسار. راقبه وهو يبتعد بين الأشجار التي بدت مثل شواهد القبور. رجع ينظر نحو سطح الماء. نظر نحو البحيرة وفكر في ما رُوي له كل هذا الوقت. سمع من مكان ما أنه عليه أن يحمل دفتر ملاحظات. الجميع مصادر موثوقة للحديث عن المشاعر، عن اللغة التي يستخدمونها في عرضها للآخرين. حك رأسه بألم وهو يشعر ببداية صداع في جبهته. نظر نحو الأرض وهو يكتشف علبة صغيرة أشبه بقداحة سجائر، أعرض بقليل منها، على بعد خطوات منه، في نفس مكان جلوس المتنزه العجوز. علبة معدنية صدئة بغطاء بلاستيكي مغلق بعتلة شبيه بكليبس الأوراق. اتجه نحوها. انحنى عليها. فتح الغطاء ونظر إلى الداخل. فلاش صغير بحجم الظفر، من النوع القديم. فكر أنه ربما ذاكرة كاميرا. أخرجه بإصبعه ووضعه فوق راحة يده اليسرى ونظر في الاتجاه نفسه الذي غادر فيه.

III

تعرف شيئاً: الكوكب الذي نعيش فيه متنازع عليه. أها. انظر إليّ عندما أتحدث معك. يوجد وقت لكي تتمعن في اللعبة. نعم. بين التجار والاكليروس. "توقف عن الكلام". وضع يده على صدره. تنهد. أخذ صدره الإشارة من يد المايسترو. شعر بنوع من الارتخاء اللذيذ في كل برغي من جسمه كأنه تحت دوش في حمامه الخاص.

تعرف إلى ماذا نحتاج؟ إلى أعصاب من الكفلار لنتكيف مع كل هذا المد والجزر الذي نتلقفه من الجميع. كأن هناك قمراً لعيناً داخل كل واحد منا يثير جنون الآخر. توقف. شعر بألم طفيف أسفل ظهره. هز جسمه مثل كلب تحت المطر. رفع يديه إلى الأعلى. نظر إلى ورقة صفراء ذاوية وسط البحر. لا يعرف لم يفكر في هذا المقطع في المدة الأخيرة. لا. ليس فيها أي شيء مهم. تناوله بتحديق طويل. أراد أن يتحدث عن تفصيل صغير من قصة العجوز حول الضفادع. آه. نعم. تذكرت أنني عندما كنت صغيراً كنت أتسكع خلف المتاجر ومكبات القمامة من أجل إيجاد العلب الكارتونية. أكومها في القبو وأصنع منها قصوراً صغيرة. أخذت هذه الفكرة من قصص جي ار تولكيين في رواية الهوبيت. أصنع مصائد من أجل الضفادع والسحالي في الحديقة الخلفية. أعتبر هذه الحيوانات وسائل تنقل في العالم الذي أصنعه بيدي. حتى أنني سرقت الضفدع الخاص بمدرسة العلوم، الذي كان يطلق عليه ميلهاوس، الاسم الثاني للرئيس نيكسون، وأحد شخصيات مسلسل "ذا سيمبسونز". أصنع مشانق على أركان القلاع الكارتونية. أعلق عليها تلك الحيوانات بعد خسارة المدينة–الدولة للحرب مع الدولة-المدينة المجاورة. عندما أجتر مثل هذه الذكريات في الطفولة، لكان من الشيق لو أصبحت قاتلاً متسلسلاً، لأن جميع الإشارات تنطبق علي. بين تعذيب الحيوانات في الصغر، العائلة المتفككة، الولادة في نوفمبر... من تد باندي إلى ديفيد كارتر راي وكارل يوجين واتس. نتشارك جميعاً الولادة في الشهر نفسه. لا يوجد تعبير دارج حول الأمر. ربما فقط شارب نوفمبر من أجل الأعمال الخيرية. تجاوزت تلك المميزات الجينية وعبرت الروبيكون واتجهت نحو الكتابة. الكتابة الشبحية. أخذتها من والد صديقي في الثانوية. سمعت أنه يكتب بايوغرافيا عن ابنة جيمي هوفا، الزعيم النقابي المشهور المختفي في السبعينيات. لا داعي للقول إن ابنة هوفا لم تفكر في هذا أبداً. حتى إن أرادت ذلك، فلا أعتقد أنها قد تود التورط مع شخص له سوابق في الكذب الباثولوجي. ربما عليها البحث عن كاتب الشبح لهيلاري كلينتون الذي حصل على خمسمئة ألف دولار نظير عمله. لا

يزال يحتفظ ببعض مشاعر جذب الانتباه وهو في سنه المتقدمة آنذاك. لا أعرف لم اختار جيمي هوفا بالذات. لم أكتشف السر في السابق. لكن بعد مرور سنوات تذكرت أنه كان يعمل في شركة نقليات في شبابه قبل أن يتركها وينضم إلى إحدى ورش الكتابة الإبداعية. ربما بعد ما سمع، هوارد هيوز وكليفورد ايرفنغ وعن خدعة المذكرات، الذي باعه لأحد دور النشر المشهورة، لكن لماذا الغوست رايتنغ؟ سمعت هذا السؤال من قبل. أليس كذلك؟ رأيت شفتيه تتحركان أم كانت تنهيدة قادمة من كيس الرئة المهترئ. لا أعتقد أنني سمعتها إن لم أكن مصاباً بالديسكو داخل قشرة رأسي. أعتقد أنني ثمل. لا أعتقد أنني شربت أي شيء منذ ساعات. أنا جائع. اسمع بطني تتموج. مثل شيء ما يتحرك فيها. اسمع قرقعة أمعائي مثل أصابع تفقس بيوض الدجاج. لم أفكر في هذا الأمر ملياً. إذا أردت أن أقول الحقيقة، أوكي، بالطبع أنت تريد الحقيقة. الجميع يفعل. أعتقد أن هذه الإجابة تافهة إن لم تكن فيها إشارات تضليل. انظر إلي أثرثر وأستطرد وأنظر هنا وهناك كأنني أحاول المراوغة وعدم الإجابة. لم تنظر إلي هكذا؟ لا أعتقد أنني ألقي الآن تعاويذ سحرية ستجعل أحد هذه البيادق تطلق الريح أو تقول شعراً لديان لوكس. الإجابة، ما تريده مني هو الكشف، على طراز يوحنا. هل ستشعر بالإهانة لو وجدت كتاباً يتحدث عن الله. أقصد من وجهة نظر بايوغرافية. أوه. جاك مايلز فعلها من قبل. في أي سنة صدر. ربما من خمس وعشرين سنة. ليس سيئاً. ليس سيئاً على الإطلاق. قد أبحث عنه في أحد متاجر الكتب المستعملة لأنني لا أتذكر أين وضعت كتابه آخر مرة قرأته فيها. الإجابة يا رجل بسيطة، دون مقدمات أوبرالية. دعني أعرضه عليك عارياً من دون توابع أو ذيول لا فقارية. أريد وضع بعض الألسنة للتماثيل. وجبة مفضلة. الفرق بين لو غريغ أو بيب روث من وجهة نظرها. مهلاً لحظة. تعرف الكراغل؟ التماثيل القوطية في ناطحات السحاب. أعرف أن الأمر طفولي ونوعاً ما مثير للشفقة. أعتقد أنني شاهدت مسلسلاً كارتونياً. عندما كان عمري اثني عشر عاماً، كانوا نوعاً من السوبر هيروز. أعجبني هذا الأمر. على شخص ما أن يكون المتحدث الرسمي للصامتين الذين ركنوا قصرياً في غيبوبة التاريخ. أعرف أن جاك مايلز فعلها منذ زمن طويل. لم ليس أنا. لا. لم أختر أي أحد إلى الآن. حتى قبل أشهر. سنترك الأمر من دون قول المزيد. انظر إلى هنا. كش ملك. لم جفلت هكذا. دعني أخبرك بقصة. هل أنت مستعد لهذا. أخبرني أحد الأصدقاء قصة عن أبيه الذي يعاني من اكتئاب ثنائي القطب. يقول إنه مر عليه تسع سنوات منذ ماتت أمه، زوجته، لا يزال يتكلم معها كأنها موجودة. مرة اتصلوا به، أحد البرامج الجماعية حيث يضعون المريض بين مجموعة من نظرائه من الذين يعانون من نفس المرض، لغرض الشفاء. يخرجون المريض من عالمه الضيق. طلب من أبيه الكلام على اعتبار أنه كان يومه الأول هناك. وطلب منه

أن يكتب ما يثير سخطه. السياسة، الدين... يعني الأشياء التي تنيك أعصابه، تحرقه، التي يكتنزها داخل قلبه، مثل أشواك عينيه تظهران ما يحاول أن يخدع العالم. أن تضع الجيش الأميركي في مواجهة فأر مسكين. يعني مثل هذا. كتب الرجل أربعمئة صفحة. تأخر أسبوعاً وهو يكتب كل هذا. أحب الدكتور هذه الطاقة التي صرفها على الكتابة. قتل نفسه عندما شرب سوائل التنظيف. أربع قنانٍ لنكون متأكدين.

الموت

البروستات

فبراير

الجراء الميتة

بروتوس

أم كل القنابل

شعر الأنف

متلازمة القطط. خلل عادي يدفع القطط. القطط المدجنة في البيوت. تعرف. القفز. الموت...

صورة الوجه في رخصة القيادة

خراج المؤخرة

دافيد هاسيلهوف

ساعات التنبيه

طفولة. الجميع

ديك تشيني

أن تقع شوكة طعامك أكثر من ثلاث مرات. في كل وجبة لعينة

غائط الفئران

النساء في متلازمة نابليون

القواد فرويد

اختطاف هيلين ودمار طروادة

الجو الجميل في فلوريدا عندما لا تكون هناك

المحظوظ هيو هفنر...

نجح في المرة الأخيرة لأنه كان وحده. صحيح. الوحدة جدار. نعم. فلنقل إنك عندما تمشي في طريق ما، أي طريق، وحدك، في بلاد الماعز، واحدة من بلدان التراشكانيستان... اللعنة. توقف عندك. تحاول أن تطير الفكرة من رأسي. لا أكاد أستطيع جمعها من دون أن أصاب بمتلازمة الأصابع المزبدة. قضى مراهقته وهو يحتفظ بموس حاد. لا. لم يقربه من وجنتيه أبداً. حبل قصير من الخيش يحتفظ به في صندوق سيارته. يقول صديقي إن أمه أثناء ما كانت حاملاً به أصيبت بالاكتئاب. أعرف. الجميع يعرف. تقول إنها قد صبت لنفسها كوباً من البلود اند ساند. تشم رائحته. تقف وحدها في المطبخ. تعرف. ماذا تعني القصص. مشكلة ما نسمع. هو أننا نربطها بأنفسنا. تعرف. نحن نحب التحدث عن أنفسنا. لا أحد يفعل. لا يمكننا الانتظار. هل نفعل؟ هذا ما أصبت به. الولد. المرأة العجوز. يطلق عليهما النار. لمعة الرصاص. السناب شوت. يا إلهي! هنا برزت القصة. أقصد أحسسته مثل حشرجة داخل حلقي. شوكة أحاول أن أسعلها خارجاً. لا شيء بهذه البساطة. أها. ربما فقط الجحيم. آلام الحامل كانت في لحظة تجلٍّ. تريد أن تشرب من قنينة الويسكي التي أحضرها من البار. مزيج من الكحول مع عصير البرتقال. دخل الأب. بدا متفهماً موقفها مثل قائد طائرة. بكت. سقطت على الأرض وهي تحاول أن تعانق قدميها من دون فائدة. كتلة البطيخ العالقة في بطنها. أخبرها أنه سينتحر معها إذا أرادت هذا. كانت فقط تشعر بالألم والثقل. لم تفكر في هذا أبداً. ولا مرة واحدة. اعتقدت أنه يمزح معها. لكنه لم يكن كذلك. لم تكن تعلم أنه حاول الانتحار أربع عشرة مرة عندما كان في الرابعة عشر من عمره. كان قادراً على فصل ما يعاني منه عن عائلته. لم يضرب ابنه، زوجته. يتعاطف بسهولة. يملك قلب طالبة في الابتدائية. العالم قاسٍ. الرجل هش. ربما لأن أمه تعرضت إلى خوف رهيب أثناء ما كانت حاملاً به. حين هاجمها فأر أثناء ما كانت نائمة وحدها ادعت أنها أراد أن يدخل إلى فمها. لم تكن قادرة على أكل اللحم أبداً. الجينات. يا إلهي! لا أحد ينجو منها. كأنها نهاية أوديب التي لا مناص منها. مرة أخذها إلى غرفة المخزن. أراها حبلاً. الحبل نفسه الذي احتفظ به أربع سنوات. لا تعرف من أين أحضره. صديقي أيضاً الذي اعتقد أنه كان ملعوناً، مثل قصة اللعبة انابيل. فوجئت أنه لا يزال يحتفظ بالفكرة. ولدت ابنها منذ سنة. تعرض إلى الطرد من الوظيفة لأنه صور وهو يبكي ونشرت فضيحته على يوتيوب تحت عنوان: انهيار أسطوري لموظف في تسجيل السيارات. السبب عجوز ثمانينية سقطت على الأرض ولم يساعدها أي أحد. اقترب كلب منها يلعق عينيها الدامعتين. حاول الخروج من غرفته الزجاجية ولم يستطيع. تصرف مثل القردة المحبوسة. هذا ما دفع أحدهم أن يخرج هاتفه الآيفون ويصور تلك التحفة الدرامية. لقطة من تلفزيون الواقع. انتشر تعبير في الحرب العالمية الثانية. سأشتري مزرعة

حيث الجنود القتلى العائدين إلى الوطن. كان يقال أنهم اشتروا مزرعة. ربما لأنهم سيصبحون مزرعة للديدان. وجدت زوجته هذا التعبير في قصص قصيرة لكاتب نرويجي لا يتذكر اسمه. وضعها وسط دائرة. سألته إن كان يود فعلياً أن يشتري مزرعة. لا! من أين أتيت بهذه الفكرة الحمقاء. نعم، ضحكا معاً من هذه الفكرة. نجح في التخلص مؤقتاً من هذه الفكرة لكن بعد أن أصيبت زوجته بسرطان الثدي والعظام والمخ، بسبب أنها أزالت وحمة ولادية من فخذها الأيسر، حيث استخدمت الخيط وضمادة. شيء بسيط لم يمهل حياتها سوى ثلاث سنوات. إحدى المرات سمع ضجة في المخزن عندما كان يحاول أن يصلح جهاز الحاسوب لوالده ليجده أنه قطع الحبل وسقط فوق الكرسي. سأله ماذا كان يفعل. لا شيء. هذا كان رده. لكنه يضع الأنشوطة في عنقه. كأنه يشرح بدايات الكرافاتة التي اخترعها السراق الكروات منذ قرون. هكذا فقط. تعلم. ما زلت أحتفظ بسجله. أربعمئة صفحة. فن خام. صرف. الحياة من وجهه نظر رجل مهووس بالانتحار. ماذا؟ نعم. مرات أفكر فيه. لكن فقط عندما أفلس، أتعب... عندما أشعر بالوحدة، أعلم أنها الوصفة المثالية لكنني لست جدياً بهذا. أعرف. أنا جبان. هذا ما يمنعني من فعلها. أنت. قل لي. ما رأيك؟

IV

مرة خرجت من البيت، أبكر من المعتاد، بعدما كنت أراقب جاري. أرجوك! اعفني من هذه النظرة. رجل في عمري. ماذا أفعل بكل أوقات الفراغ التي أملك عدا أن أتبعك مثل الحارس الشخصي في كل مكان. كان يشرب البيرة في الحديقة الخلفية. يجلس على كرسي التخييم. بجانبه علب زجاجية عدة من التوبورغ الأوروبية. المتباهي يحدق في المسبح الساكن. دخل عليه جرو صغير. ربما عبر سياج الشجيرات الذي يفصل بينه وبين جارته العميلة الفيدرالية في الاي ت اف. ظل ينبح عليه. تجاهله. ظل يشرب ويحدق في المسبح. هكذا بدا كأنه مشغول في شيء ما. لم يعجبني الأمر. حاولت تنظيف الزجاج القذر في النافذة عندما وجدته قد اختفى. يشرب الجرو من ماء المسبح. رجع الجار. يحمل كيساً من البلاستيك. عليه علامة سوداء وكبيرة من الفا واوميغا للحلويات. فكرت. يا له من عنوان خطير! حمل الكلب. وضعه داخل الكيس. جمع العلب الزجاجية من على الأرض. رماها مع الجرو. هل أنا في حاجة لكي أكمل الباقي. لا. أقصد عندما أكمل ما فعل. وضع الكيس في المكب. وضعني في موقف محرج. الرجل لا أحبه. أوكي. لا أحب الجميع. فلنكن واقعيين. أنا مثل الكتاب السيئ الذي يكون دائماً نظيفاً بلا غبار. ليس له قيمة عالية بقدر ما يقدم نهايات سعيدة للغاية. فهمتني. اشتريت عدداً من الحبوب لكي أطعم الطيور في الحديقة العامة، عندما وجدته. رجل عجوز يبكي على مصطبة الحديقة. حمامة واحدة تقف فوق ساندويشه تنقر فيه. لا يتحرك. متجمد. همهمة ودموع تتساقط فوق خده. عبرت الشارع نحوه. لا أحد انتبه إليه. عقدة المتفرجين اللعينة. كان عليّ أن أضع نهاية لما يجري. سألته: هاي، ماذا يجري يا رجل؟ أخبرني أن له زوجة عمرها أربع وثلاثون. تصحو قبلي من النوم. تدلك ظهري. تصنع الفطائر. النقانق المقلية. قطع الفواكه الناضجة. فوق كل هذا تصنع قهوة تطحنها بيديها.

ما الذي يبكيك إذن؟

أضاف: في الغداء تصنع شوربة الخضار مع بسكويتي المفضل. تنظف المنزل كله. ما تبقى من الظهيرة تجلس معي فيه لمشاهدة المباريات.

أضفت محاولاً البقاء متلهفاً مهتماً أكثر من المعدل الطبيعي: أوكي يا رجل. لم تبكي إذن؟

أكمل: في العشاء تصنع وجبة فاخرة. النبيذ الأحمر. فطيرة التفاح. نتعانق حتى شباب الفجر.

ما الذي في هذا العالم يحزنك إذن؟

رفع رأسه نحوي. طارت الحمامة. تذكرت كيس الحبوب. إذن. تعرف. كان الرجل لا يتذكر أين يسكن. قصدي هو. الحياة دراما خرائية. نعم هي كذلك. هل أنت مدرك السبب الذي جعلها هكذا. المسلسلات. الإعلانات. عاشت عليها مثل العوالق. استنزفتها. أصبح لها جهاز هضمي مستقل، ما جعل المضيف في ما تبقى من الحياة جلداً على عظم. لا يمكنها أن تمشي بضعة أمتار من دون التعب والوقوف وهلة لكي تريح الفتاق والرئة. الجميع يحبون الأمراء، الملوك. هذه ما تبقى من قصص الجنيات. بني، يوجد مستويان للعيش. الحياة التي تأكل فيها من رأسك. الأخرى التي تتنعم فيها في الغائط. إذا أردت الحقيقة من دون أن تصاحبها مقطوعة جاز هو أنك تعيش في عالم وقوده الخراء. لكننا نجحنا في تغطيته، تغيير اسمه، تحديثه، تعطيره. لهذا خلق العطر في القرون الوسطى. لماذا. الأمراء لا يحبون الاستحمام. يتغوطون خلف الستائر وتحت الأسرة. من لديه الوقت للاستحمام وغسل القذارة الجسدية لو كان لديك شيء ما يقمع تلك الرائحة ويجعلها تتراجع خلف الجدران. لا أحد رضي عن نفسه. الجميع يكرهون ما وصلت إليهم حياتهم. الكم الهائل من الاختيارات المختلقة. الأزقة الفرعية في عالم التلفزيون. ارضَ بما أنت عليه. قبل أن تتلقفك الرضوض والتشوهات التي تذكرك بما فشلت فيه. نعم. أرعبونا من أن نكون أنفسنا. أضافوا قصصاً ومذكرات وتسميات للوحوش تحت الأسرة. بالغوا في تشويه الواقع لدرجة أنه أصبح من ضمن عالم موازٍ آخر. أصبح الجميع لديه حس في المستقبل جعلهم يخافون من الحاضر. أعرف. المستقبل مدر للمال. الحاضر ممل. لكن أن يقوموا بإخصاء أراوحنا هكذا! جعلنا روبوتات بماضٍ عضوي. هذه بداية نهاية. نكبر. نحن نبحث عن أقنعة. شخصيات نختلقها لتواجه العالم من دوننا. أحد ما قال لنا شيئاً ما وصدقناه. لا أحد يريد أن ينظر إليك كما أنت. هذه حقيقة بنيت على أرض مسروقة. كذبة مغلفة. مثل علبة شوكولا. لا أحد يعرف كيف يفتح الغلاف. مهمة مستحيلة. مكعب روبيك. الجميع يتخفى خلف شيء ما. يفكرون في التحكم في حياتهم ولا يريدون ترتيب السرير أولاً. يحدسون بطريقة أو بأخرى أنهم مملوكون. نوع من العبيد العصريين. من دون كرم حضور الأخ الأكبر الفيزياوي. أعرف أنني عجوز. غيزر. أولد فارت. أحن إلى الوقت الذي كنت أقوم فيه بالأمور من دون ضرر في جاذبية الأرض داخل مفاصلي. الوقت لم يعد كما كنت معتاداً. أصبحت متأخراً في كل شيء. المحافظة على المواعيد من الكماليات. لكنني نوعاً ما سعيد بما أصبحت عليه. تجاوزت الحادية والسبعين. محظوظ إذا تذكرت أين وضعت سيارتي في الموقف. في البداية، تذبل الأسماء. تحلقها الوجوه والمواقف. تحل التفاصيل والقصص بدلاً من أمور جوهرية بسيطة يمكن التعبير عنها بإجابة بسيطة، بنعم أو لا. الآن عندما أشرب الجاك دانييلز لم أعد أسمع المطارق كما في السابق.

غريب! أليس كذلك؟ لكن شكراً لله على هذا. أعرف أنني سعيد. لكن من دون مشاركة شعوري مع الجميع. لا. تعرف. حتى لا يعتقدوا أن الخرف دق الباب وهو الآن داخل غرفة النوم يساعدنا في حساب أيام الأسبوع. حين تكون أربعة أيام السبت وثلاثة الجمعة. سيطمع الجميع في ما تملك. تخلط السعادة مع الكرم معتقدين أنه علينا أن نشعر هكذا لأننا قريبون من فجر حياتنا. نتحول إلى نسّاك. نتخلى عن حاجاتنا. نولد عراة رطبين ضاجين جائعين. تسوء الأمور في النهاية. لكن لا أدعه يتناولني بهدوء. أقاومه. لم أمنحه الارتياح؟ كيف تعرف أنك على شفير تأدية الدين الأخير. الذهاب إلى الغرب. إلى الأقدام الستة تحت سطح التربة. عندما يدق بابك العديد من الناس يطمعون في لقب الصديق المفضل. عليّ أن أكون حاد الطباع. أولد فارت. أسد كبير مهتاج ليقاتل الطامعين في العرش. أهم من كل ذلك أنني لم أعد مهتم بترضية الجميع. أقول ما أشعر به. أطلق البخار إن شعرت بشيء ما يغلي في رأسي. أفرغ قلبي كما يفرغ الدلو من الماء. كما يقول جيمس بولدوين أحترم المحترمين. من يتحدث من القلب. الواقعيين. الكبر في السن يجعلنا لا نطيق عالم الدمى الذي نولد فيه. أنا معك يا بني. أحب أن أكلم الجميع. الكاتب الشبح. أها. مثير بالفعل. أنا بالفعل كذلك. أها. الحياة حكة عابرة في الرأس. قصة تنتظر أن تروى. ننتظر أن نصل مع، بأقل الخسائر، إلى إلقاء الستارة. لذا. انتظر دوري في ما أنت مقبل عليه. عليك ألا تسأل عن هذا. لا أعرف. لا أحب الحديث عن حياتي أكثر. الأمر أشبه ببائع في مركز تجاري يحاول إقناع زبون بشاشة بلازما. لم لا نترك الأمر للخيال. الافانت غارد. أعرف بأنك تحب الين واليانغ في هذا. تختلق كل شيء عما تراه. أنا أحفور قديم. نظري ضعف. أحب أن آكل قبل أن أنام. أخذ قبله قرصين من التامس مع واحد من البريلوسيك. وسادة رقيقة أسفل كتفيك لخداع رأسك من أنك ما زلت جالساً تتأمل في العتمة. كنت أظن أنني بحاجة إلى عمود فقري جديد بدلاً من صديق. أثير الضجة عندما أتحرك. مثل آلة قهوة لعينة. تعرف. نحن رجال حرمنا ألعابنا. لهذا نكتب. نحن نصرخ. الأوراق البيض لافتات احتجاج. نشرب الكحول، المخدرات. نضرب زوجاتنا. نقتل الطلاب في المدارس. نحب أن نبحث. الجهد وليس أن نحصل على ما نريد. ما زلت أجيد المراقبة. أعرف عن هذا. لا أدينك يا رجل. أعرف أنها سهلة للعقول الكسولة. اكتشف أبي يوماً ما أنني أحب التكلم مع الضفادع. تعرف ماذا قال لي. آمل أنني لن أفكر أبداً في إنجاب الأطفال. اللعين. يقول إن هناك شيئاً ما خطأ فيّ. عبء على نفسي، عليه، على العالم. ماذا كان يعتقد؟ كنت في العاشرة حين سمعت هذا التصريح منه. لا يعلم أن الكرة الأرضية لم تكن لي سوى شارعين، بين ويستيريا وجون هانكوك. بين بيتنا وبيت صديقي والمدرسة. ماذا؟ يا إلهي! هل ما زلت تذكر كيف تعارفنا؟ نعم. بعض الليالي عندما أذهب إلى حضن

مورفيوس. أحاول أن أوازن العالم كما تركته الصباح، لكي أتعرف إليه كما هو في النهار التالي. أحدق في السقف قليلاً وأحاول أن أتذكر. الأرض من خشب والسماء من إسمنت وحديد، من زمن ملكي صادق. ها ها ها. نعم. لا أتذكر كيف تعرفت إليك. تلك الفجوة العميقة بين جيلينا. ولدت في الخمسينيات. أنت؟ ماذا. نوفمبر 1990. يا إلهي! الوقت نفسه الذي كنت فيه في السعودية. أها. نعم بالفعل. شاركت في حرب الخليج الأولى. في تلك السنة، تم تسريحي من الوظيفة. كنت أعمل لدى شركة إعلانات. لأنني أحاول إضافة التفاصيل الأدبية على بعض ما يبيعونه. أعتقد أنه كان السبب الذي كنت أشك فيه. أخبرتني مسؤولة الموارد البشرية، امرأة باردة العيون وبلا شفاه حرفياً، أنها باسم شركة اروندهام وبيليونكس وتاماني تعتذر عن الاستمرار في تعييني وأنهم يعرضون علي راتب ثلاثة أشهر وعدة أسهم في الشركة. لم أهتم. كنت في السنة الأولى من كتابة رواية عن عملي عندهم التي بالمناسبة لم أكملها أبداً. أعتبر الوظيفة مصدر خبرات بدلاً من تسديد الديون. استمرت خزن تلك الخبرات سنوات عدة ولم أنجح في إنهائها حتى الآن. لم أكن أملك آلة طابعة. معاجم. كتب اختصاص. أملك صندوق الفيولين من دون الآلة الموسيقية. أنت تعرف ما أعنيه؟ يوماً ما وجدت مجلة متروكة في البارك فيها إعلان عن الانضمام إلى المارينز. أعجبني صورة جندي أسمر وتحتها عبارة: "سأرى العالم". نعم. أجبته. أنا أريد أن أرى العالم. عمري وقتها في السابعة والثلاثين. لا. ولد في السابعة والثلاثين. لم أعد أريد أي وظيفة مدنية بعد الآن. فقدت إيماني بها. سمعت عن أزمة الخليج عبر صحيفة البنتاغون التي توزع مجاناً. بعد أشهر من التدريب نقلنا إلى قاعدة الظهران في السعودية حيث زارنا الرئيس جورج بوش في نوفمبر من تلك السنة. "الآن. انظروا. انظروا. نحن نعرف أن الأيام هنا ستكون نوعاً ما طويلة. لذا ستستمعون أكثر. إذا طال الأمر أكثر لدينا سلاح سري. إذا أتى للرفش لكي يأتي بقضمة فإننا سنأتي بروزانا بار لكي تذهب إلى العراق وتغني النشيد الوطني. بغداد بيتي ستأكل قلبك من الداخل". كان يسخر من حادثة ملعب سان ديغو بادريس عندما غنت السيدة بار النشيد الوطني وهي تضع يديها على خصرها وبصقت على الأرض بعد أن أكملت فقرتها. قال بوش وقتها إن أداءها غير محترم.

تعرفت إلى هذا البلد أول مرة من برنامج ستين دقيقة الذي كان يقدمه الوحيد والفريد اندي روني. لترقد روحه بسلام...

"في البداية، أريد أن أريكم أين يقع العراق وإيران. هذه إيران. هنا. على السبورة. هذا العراق. أصغر كما تستطيعون أن ترون. يلائم هنا في هذا المكان.

لكي أعطيكم الفكرة. كم هو حجم إيران؟ هذه فرنسا. إذا لم تعرفوا حجم فرنسا، فهي في نفس حجم تكساس. الحرب بين العراق وإيران بدأت في 23 من أغسطس. بقدر ما أحد يهتم. العودة إلى سنة 600 قبل الميلاد. هم كانوا يتحاربون منذ ذلك الوقت.

هناك 45 مليوناً في إيران. مليون ونصف سيارة. أقل من نصف الشعب قادر على القراءة. لهذا عليك الحذر أمام علامة الطريق ذي الإشارة الرباعية.

إيران تملك مليونين من أجهزة التلفزيون. الإيرانيون الذين لا يقدرون على القراءة يشاهدون التلفزيون، مثلنا نحن هنا.

إيران تملك أكثر من مليون تلفون. أيضاً. مثل ديترويت.

إيران الكبيرة قريبة من روسيا. العراق الصغير قريب من إسرائيل. لهذا كانت إسرائيل تعاون إيران بدلاً من العراق. إذا إيران هاجمت العراق، فعليه أن يدافع عن نفسه بدلاً من مواجهة إسرائيل.

كان العراق يطلق عليه اسم ميزوبوتاميا. إيران كانت تسمى فارس. فارس اسم جيد للبلد بدلاً من إيران. أنتم تعرفون السجاد الفارسي؟ كم منكم عرف السجاد الإيراني.

عاصمة العراق بغداد. تعرفونها من قصة علي بابا والأربعين حرامي. قالت مجلة ورلد الماناك إن الهجمات بواسطة العراق وإيران على حقولهما النفطية تسبّبت في زيادة المستويات الائتمانية عالياً. هذا هراء. كما نعرف. أي شيء يسبب زيادة المستويات الائتمانية في كل مكان.

كلا البلدين مسلم. نفس السبب الذي جعل كلمة مسلم تلفظ بصورة مختلفة.

العراق وإيران يكرهان بعضهما بعضاً. نفس السبب الذي جعل الكاثوليك والبروتستانت في شمال أيرلندا يكرهون بعضهم بعضاً. لنفس السبب السيخ والهندوس في الهند يكرهون بعضهم بعضاً. بسبب أن الناس في كل مكان يأخذون الكثير من الارتياح من كره بعضهم بعضاً. هذه قصة إيران والعراق. تذكروا! سمعتموها هنا أولاً".

"قرأت قصة في اليوم السابق حول تكاليف هذا الشيء الذي يحدث في الشرق الأوسط للولايات المتحدة. يوجد العديد من الكلام حول احتمالية الضم بسبب غزو العراق للكويت.

طائرة مفردة واحدة تكلف مليوناً ونصف مليون دولار لكي تعمل. تضع المضخة لطفلة مثل هذه وستكلفك مالاً حقيقياً. يكلف 4000 دولار في الساعة لكي تطير واحدة من آلاف 15 لهذا هي تكلف 25 ألف دولار من الوقود لكي تطير أربع منها إلى السعودية.

من الغريب بصورة مفاجئة عندما يكون هناك فرصة مقتل العديد من الناس... جنود أميركيون... المال يكون غير مهم.

عندما تأتي الحرب والبلد في مشكلة شيء ما يحدث. ننشحن. نستمر إلى الأمام.

يقول بوب سيمون: ربما كل العرب إخوة. لكن بعضهم يغتني فجأة ويعامل باقي العائلة مثل القذارة.

أعتقد أن المحتمل أن الأميركيين أخذوا الكثير من الأموال من دول النفط هذه لكننا لم نبدأ سرقتهم مثل الطريقة التي يفعلها قادتهم.

إذا الرئيس بوش قادر على إخراج العالم بعيداً عن هذه الفوضى في الشرق الأوسط وإجبار العراق على الخروج من الكويت من دون مقتل العديد من الناس، فسأكون قادراً على أن أعذره حول وعوده الكاذبة حول زيادة الضرائب. أكثر أهمية من وعود انتخابية".

قيل لنا: المعركة ستكون خاطفة. شوارتزكريغ. نزهة في حديقة. حتى أن البعض شك في أنها غير دموية. تمرين بيروقراطي وبعض المصطلحات الرسمية ساهمت في شرعنة هذا الحكم. يطلق على الشخص المسؤول عن أخبار عائلات الجنود القتلى "منسق لمساعدة الخسائر". طلقة في جسدك وبعدها تشحن إلى بلدك. أصبحت "فتحة مستحثة بواسطة مقذوف لمحيط تحت الجلد". أصبح تدمير مقاومة الطائرات في العراق "قمع أهداف". القتل تخفى تحت كثير من الكلمات القاموسية. مثلاً "ضحايا ثانويون". القصف السجادي. ضربات مشبعة. جراحية. مراكز مسحوقة. الموقع تمت زيارته. متفسخ. تم تحييده. تآكل. أُنهِيَ. قطع الرأس... إلخ. يمكنك أن تقول كانت تجربة غنية. نعم. لكن هنا جوب جوب أيامي ولت. هوزاناه. كانت بالفعل كذلك. اعتقدت بعض الأحيان أن الانضمام إلى رؤوس الجرات ربما كانت فكرة غبية، لأنني اعتقدت أنني سأموت في الحرب رغم أنها كانت أغبى من أن نخاف منها. مسرح عمليات الكي تي أو. كانت لا تعدو حرب أزرار لا غير. عليّ أن أمنحهم شرف هذا. "تأثير النتندو" لأنها بدت كأنها لعبة فيديو لعينة. ليست ممتعة. نورمان المهاجم. نورمان الدب شوارزكوف. بدا يملك شعبية أكثر من وزير الدفاع ديك تشيني الذي كان يطلق عليه انتي كرايست لأنه سحب كل جنود الاحتياط. أما الجيش في حرب الخليج الثالثة، فكان يطلق عليه دمى رمي نسبة إلى وزير الدفاع دونالد رمزفيلد. أما العراقيون، فكنا نسميهم "ب". تشوي هوي. أي راكيز. هومر. اسم صدام أصبح مرادفاً لفعل سودومايز. وتحولت المقولة: الخراء يحدث، شيت هابينز، إلى صدام هابينز.

تعرف. لم أخرج من تلك الحرب بأي شيء يذكر. لم أكتب أي قذارة معتبرة. ما زلت أحتفظ بثلاثة يوميات. أعتقد أنها ستكون مفيدة يوماً ما. لم تنظر إليّ هكذا. ما زلت أعيش يومي كما لو كان الأخير. أعرف أنني يوماً سأكون محقاً. عندما وصلت هنا. في الشهر الخامس. كانوا يطلقون علينا

جماعة عملية عاصفة الأطفال. كانت زيادة المواليد في تلك السنة في أرقام قياسية. الآن لم يعد أحد يتذكر الاحتفال الرسمي الكبير الذي أقيم على شرفنا في واشنطن أو نيويورك. نسي الجميع حرب السي أن أن. تغطية بيتر ارنيت الذي كان يشك أنه محب لصدام كما قال عنه أحد السيناتورات. رجعت أبحث عن وظيفة مرة أخرى. احتفظت بالمال الذي حصلت عليه من الجيش في البنك. لا أجيد الاحتفاظ بالمال المسال لذا كان عليّ أن أخبئه بعيداً عن ضعفي. من ستة أسابيع. سمعت أن أحد كتاب السيناريو يود أن يعين شخصاً ما. جندي سابق. من أي فرع عسكري في الولايات المتحدة من أجل برنامج وثائقي عن الحروب الحديثة. بالطبع لم يذكر اسمي في الشكر والتقدير آخر الفيلم لكنني حصلت على أربعة عشر ألف دولار نظيراً لخدماتي. تلك السنوات التي كنت فيها أكثر انشغالاً من الآن. ما زلت أعتبر تلك الأيام سنوات العشرينات لي كما كانت لسكوت فيتزجيرالد. انظر. تعرفت إلى هذه الحديقة منذ 1999 بعد أن كنت أحب قضاء ليلتي في البارات والحانات قبل أن أتعارك مرة مع أحد الشباب الذي كسر لي أحد أضلاعي وجعل إبهام يدي اليسرى أعوج. لا أعرف ما كان السبب. كنت ثملاً للغاية عندما وجدت نفسي بالقرب من مكب نفايات مستلقياً بجانب متشرد يضع عضوه الذكري في جورب قذر ويستمني وهو يصرخ. بدت تجربة روحانية أكثر من ممتعة له. رجعت إلى شقتي. نمت مثل طفل. في المساء، رجعت إلى هناك. طلبت جاك دانييلز، المشروب المعتاد. عندما وجدت هذا الشاب يقترب مني، سألني: ''ماذا بخصوص دولي بارتون؟''

- أرجو المعذرة

- لقد قلت. ماذا بخصوص دولي بارتون؟

القصة لها معنى أضع عليها شرفي كله. ماذا؟ أوكي. مذنب الجريمة. استمع فقط لي يا رجل. عليك أن تنتظر. لهذا أروي لك القصتين. بحثت عن المساعدة من النادلة الصينية. لا شيء. لكن. هل فكرت يوماً؟ لم كل وجوه بلدان الشرق الأقصى مثيرون للشفقة. أقصد لا يمكنك أن تغضب منهم. يبدون وديعين جميلين مسالمين. نعم. ماذا؟ أوكي. لم أعرف السبب حول المتاعب تلك الليلة. أنا فقط رجل في منتصف حياته التراجيدية. لا أثير المشكلات. أحتفظ بشأني لنفسي. بالطبع أنصت إلى أحاديث من حولي من دون تدخل. أنبهر. أحب أن أتفاعل مع قصصهم. أنجذب بسهولة. لكن لكل شيء حدود. أنا أعرف هذا. لا شيء جدي ليأتي هذا الثمل ويسألني عن دولي بارتون. تعرف. فجر ذلك اليوم. الزقاق الذي يقع خلف البار. لم أفكر كثيراً في الأمر. ربما دهمني النعاس ووجدت نفسي في تلك البقعة بالذات. شعرت بألم غاشم في رسغ يدي اليسرى. سوار الساعة يضغط على الروماتيزم كأنه يحاول تجفيفي من الدم. بطريقة وبأخرى أردت أن معرفة هل هذا الشاب مسؤول

عما جرى. جر الكرسي من أحد المناضد الفارغة. صبت النادلة الصينية شرابه. اسم غريب لم أسمعه من قبل: ناستي بويز. نفس الاسم الذي يطلق على فرقة برافو في المارينز. حدق فيّ مثل من يعرفني منذ زمن طويل. بلعت الأمر بصعوبة. ماذا كان عليّ أن أفعل؟ مجاراته. مواجهة الموسيقا. لعب الكرة معه رغم أنني لا أعرف كيف ألعبها...

- ماذا بشأنها؟

- لا أعرف؟ أنت قل لي.

- ماذا. ألديك مشكلة بشأنها؟

- لم لدي مشكلة معها. ماتت منذ زمن بعيد. كانت تعاني من مشكلات جدية. عدم ثقة مع جسدها. لا أحب النساء ذوات الأثداء الكبيرة. لا أعرف. ربما سبب ذلك أنني معدوم الاهتمام بالأنثروبولوجيا. أها. لا أعرف لم علق بي هذا الأمر؟ لكن. الرجال في الأزمان القديمة يحبون النساء ذوات الأثداء الأمومية الكبيرة والحوض المتضخم الذي لا ينفع معه أي كورسيه. قرأت مقالة في مجلة ناشونال جيوغرافيك عن تمثال قديم وجد في العراق يطلق عليه اسم الشامان الأم. يدعون أن الإناث هن من يدرن الاستعراضات في ذلك الوقت. هل تصدق هذا؟ كنا نطلق على الدبابات الروسية طراز تي 72 أسد بابل. في حرب الكويت. دولي بارتون. هاهاها. فهمت ما أعني. لذا عندما سمعتك تتحدث عنها شعرت بحنين جارف لتلك الأيام. تعرف. ذكرى جرت أخرى. بدأ الاسم كأنه ابرا كابابدرا. أها. شفرة إطلاق. فوالا...

- أها. اعتقدت أنك تشير إلى الصديق الذي التقيت به البارحة. الرجل الذي يرتدي سترة تويدية مع قبعة ديرستولكر. نعم. ربما أنت من أطلق عليه شيرلوك هولمز. الذي سمعه، علي أن أقول لك، لم يكن راضياً كذلك.

ماذا. من يكون هذا؟ لم لم تكلمني عنه؟

من تقصد؟

صديقك شيرلوك هولمز.

أوه. شخص ما أعرفه من زمن طويل. من حياة أخرى. ليس إلا. اطمئن. ستتعرف إليه. في النهاية. قصدي دعني أكمل. أنا النجم هنا...

- ماذا؟ لا. هل من السيئ القول إنك مخطئ. لا لم أقل هذا. اعتقدت أنه ممثل مسرحي. شيكسبيري على الأغلب. هل هما نفس الشيء؟ أوكي. أعتقد أنني كنت مخموراً. رقصة سونغ في رأسي. تعرف

ما يقال. الجندي المحترف سهل التنبؤ به. لكن. صدقني العالم مليء بالهواة. أوف. كما الأيام الخوالي.

- كنت في الخدمة. أين؟

- العراق. صربيا. أنت؟

- يمكنك أن تخمن. كنت في أم كل المونولوغات.

- رائع. كيو 8. هوراه. فاكنغ هورا يا رجل.

- جميل. لم يقع ضرر. الأمر هو ذكر اسم اديث وارتون. أعتقد أنها على وزن دولي بارتون. عليّ البحث عنها في قاموس القوافي. بأي حال. اديث وارتون مؤلفة بريطانية. الرجل يعمل على اقتباس مسرحي لإحدى قصصها. سمع من مكان ما أنني أقضي الوقت هنا ولذا أراد أن أؤدي خدمة له. ياك. لا أعتقد أنني أتذكر ماذا كان هذا؟

ألا تتذكر؟

أعتقد. كما أحسب. هذا سيئ أم جيد؟

- البارحة كان هنا. غريب ألا تتذكر؟

- لكن. هيا. انظر إلي. نسيت. هذه من مميزات الكبر في السن. أن تكون أيامنا كلها مثل اليوم الأخير قبل نهاية العالم. إذن أيها الشاب. من أين أنت؟ ماذا تعمل الآن؟ خاصة بعد أن فككتم يوغوسلافيا المسكينة مثل سيارة مسروقة.

- هنا وهناك. أعني في الجوار.

- إذن.

- لا أعرف الكثير. أستيقظ. أستحم. أعمل. آكل. أنام. أعيد من جديد.

- تبدو كأنك تسرد وصفة طبية قديمة. إنها قصتنا جميعاً.

- لا أعرف. ربما. لا. إذا كنت أتحمل هذا؟

- ماذا. كم عمرك. ستة وعشرون. ثلاثون. أنت على الدرجة الأولى. السلم لا يزال بعيداً عنك لكي تملك مثل هذه الأفكار الخرقاء. لا أقصد الإهانة.

- ملخص الحكاية. أها. نعم. كنت جالساً مع زوجتي السابقة. سمعت أن أحد المشردين المصابين بنقص المناعة اغتصب ابنتها. كانت في الثانية عشرة بحق صدام فاكنغ حسين. كيف فعل هذا؟ المسكينة. لم ترد أن يعرف الجميع بما حدث لها ولذا انتحرت بسلك داخل خزانة ملابسها. في أحد الأيام كنت جالساً في مطعم صغير آكل الوجبة اللعينة نفسها عندما دخل زوجها الحالي. جلس أمامي

على نفس المنضدة. لم أتعرف إلى وجهه في البداية. كنت على وشك أن أعرفه على الستة العظيمة في السماء. الله. يا رجل هل نسيت العسكرية؟ بأي حال عرفته متغطرساً. يحبّ ارتداء الملابس الرسمية في كل مكان كأنه يتوق لموت أحدهم في أي وقت. كلماته التي يختارها بعناية تبدو لي مسروقة من أحد الأفلام. مد يده. بدت خشنة. اعتقدته في البداية حطاباً كندياً ظل الطريق. لم تساعدني تلك المربعات في بلوزته. طلبت له مشروب صودا. لم يلمسه. لكن حدث شيء ما. بمجرد أن حدقت في عينيه بدا لي كأنه في مرحلة انتقالية بين الانهيار وبين المعافاة. شعرت بالغرابة. توقفت عن الأكل. لا يمكنني الاستمتاع عندما يكون هناك شيء ما في بالي. تعرف. الحياة مثل الكهرباء. نفسها في كل مكان. الفرق في الأدوات. فهمتني؟

- وبعد. أكمل.

- طلب مني المساعدة. أها. نعم. بهذه البساطة. التحدث مع زوجتي السابقة. أعرف هذه النظرة. أقصد أنني تخيلت أنها في أزمة ما. لكن كيف له أن يطلب مني، من دون الجميع. أعني، ماذا عن أبويها، شقيقتها. لم أكن أعرف عن انتحار ابنتهما الوحيدة بعد. لم أفهم ما يريد مني. هل كانت تفكر في هجره؟ تعرف. بيني وبينك رحبت بالأمر. طردت هذه الفكرة بمجرد أن أطلت النظر في وجهه. بدا مثل رجل سرقت منه سيارته الغالية تحت تهديد السلاح. اضطررت أن أنزله من ظهري وأعطيه موعداً. ذهبت إلى بيتهم الفخم الذي بدا لي مثل بيت أشباح. كأنه أحد بيوت رجال العصابات في مسلسل السوبرانوز. الحديقة الأمامية مليئة بتسعة قبور ذات شواهد صغيرة وصور لقطط بدت لي لواحدة من زوايا عدة. تسعة قبور تلائم أرواحها التسع. دققت الباب. فتح رجل يرتدي ملابس سوداء مع نظارة طبية ذات إطار ذهبي. أجفلتني برودته. بدا لي كأنه دفان أضاع الطريق. عرف عن نفسه أنه المستشار. ونتوورث هيكلر. اسم غريب. كلاهما مناسب لاسم عائلة أيرلندية-يهودية. أخبرني أن السيد اشوول ينتظرني في المكتب. بدا لي كأنه قال نكتة. تخيل موقفي. لم أستطع منع نفسي من التفكير أن كنية جيمس في الثانوية ربما هي اس هوول. دخلت في متاهة كأنني داخل متحف لعين. لم أجده في غرفة المكتب أو كما قال الخادم: الاستوديو. انتظرته دقائق قبل أن تقترب من خلفي خادمة لاتينية مثيرة. طلبت مني بصوت واطئ أن ألحق بها إلى الطابق الثاني. كنت أشعر بالفخر وأنا أمشي خلف تلك القطعة الفاخرة من اللحم. وصلنا غرفة النوم. تركتني. لم تقل ماذا عليّ أن أفعل؟ لذا دققت الباب. أصغيت. ناديت. إيما، أنت هنا؟ لم أسمع أي شيء. حركت المقبض بهدوء. شعرت أن وجودي غير لائق. نائمة في فراشها تغطي رأسها بالبطانية. شعرت بالغباء بالوقوف هناك. متسلل. لص. أردت الركض بأقصى سرعة. عندما لمست المقبض سمعت ضجة خلفي.

انتبهت إلي. سألت. من هناك؟ أخرجت رأسها من البطانية. تبادلنا النظرات. فورة من الذكريات، الصور. تعرف. ما زلت أحتفظ برائحتها هنا داخل أنفي. مرة أخرى: من هناك. جيمس. هل هذا أنت؟

هل هذا غريب؟ أقصد هل مررت بها من قبل؟

ماذا تقصد؟ ماذا يجري؟

أشعر كأنني أسمع صوت خرير داخل أذني. وشوشة. هل هناك صنبور مفتوح في مكان ما. ربما عليّ تفقد الأمر.

يا إلهي! هذه الدورة الدموية. أنت تستمع إلى حركة دمك في الأوردة. درس تشريح مجاني. مثل موضوع الابتسامة. أنت تعري جزءاً من عظامك هكذا. إذن. أكمل القصة رجاء.

- ماذا قلت لها؟

- طلبت مني أن أستدير. ماذا تشعر وهي تراني هنا؟ أردت أن أعرف تأثير وجودي في وجهها. التواء شفتها الصغيرة اللامعة مثل كرز مغسولة بالماء. نقرة وجنتيها. كل الأشياء. التفاصيل التي اشتقت إليها. لا. كانت تنظر نحوي بوجه بارد. متعب. عيون مأخوذة. كأنها لم توازن بعد بين الحلم الذي خرجت منه للتو وما تراه الآن. انتظرت منها أن تتعرف إلي. أن تستقبلني بمقابسها العاطفية إن كانت تملك أي واحدة منها من أجلي. لكنها مثل وجه قسيس من شهود يهوذا. أتخيل أن جيمس طلب منك المجيء. هكذا وضعت الأمر في استفسار محايد. أجبت بحركة من رأسي. أدارت رأسها نحو النافذة. شعرت من خلال الزجاج أن وجهها بدأ يستعيد لونه. نعم. لا تزال هناك بعض الأكرات من أجلي داخل قلبها. أعرف هذا. سألتها. كنت أود أن أحفزها على الشكوى. تعرفينني؟ أجابتني: نعم، أنت الذي تجيد الرقص. هي تتفق مع الجميع أنني راقص جيد في المناسبات الاجتماعية. وأنت أيضاً، قلت لها، لتضيف: نعم. في عالم مختلف. أنا أريد هذا. لكن المشكلة. الأحذية. ماذا بشأنها؟ اعترضت. بدا لكل واحد منها منطقها الخاص!

يا إلهي! هل قالت هذا؟

أعرف. بدا أن ما قالته كان صعباً بما فيه الكفاية وكان له التأثير المناسب فيه.

الأحذية. التي تبدو مثل فم أدرد. أعشاش للفئران. يا له من منطق حزين! تعرف. أريد أن تسمح لي بسرقة هذا الاقتباس.

ماذا؟

أريده. أقصد أريد أن أستخدمه في مكان ما.

عن ماذا تبحث وأنت تحرك رأسك هكذا؟ لا أعرف. هو ليس لي يا رجل. كيف لي أن أمنحك الإذن.

ربما عليّ البحث عنه.

نعم. أنت مضحك.

لماذا؟

توقف عن سرقة الميكرفون مني. دعني أكمل. أوه. شاتو ماركو. هل من المعيب التفكير في قدح من النبيذ الفاخر الآن؟

نعم. إذا كنت في مطعم. أكمل القصة اللعينة.

- بعدها قالت شيئاً أوقفني مثل إشارة حمراء. بحثت عن كرسي. كومت جثتي فوقه. ظننت أن الأرض اهتزت تحتي. بكيت مثل فتاة صغيرة كسرت لعبتها المفضلة. تعرف. عندما أكون حزيناً أحب الاستماع لموسيقا تصويرية كأنها ترشدني كيف أفعلها. تقودني عبر تلك التلافيف الصوتية مثل ماء حار في أوردتي لتقوم من فراشها. وضعت يدها على كتفي ثانية واحدة. أردت أن أتلقفها وأقبلها، لأكتشف أنها غادرت الغرفة.

- لم أفهم موقفك منها. هل ساعدتها؟ حاولت أن تخرجها من عالمها ذاك.

- أفريكا.

- أرجو المعذرة!

- نعم. Afreaka كما كان يقول عمها عن العيش في هذا البلد. أنا أفريكان. أعرف أن هذا التعبير قد يكون عنصرياً. لكن لا يهم. نحن نعيش في عالم فاسد. أعرف أنني تجاهلت الكثير. لكن أن تسقط هي في هذا العالم كانت بمثابة دعوة إلى سفينة فضاء. لا. لا أيها العجوز. لا أعرف كيف يمكن تخطي هذا. أرى التهديد في كل مكان. أنا رجل مطارد. الكلاب. الأزقة التي تهرب مني مثل أفعى. النجوم التي تبدو مثل سكاكين تنتظر أن تقع علي. آسف على ما جرى البارحة. أقصد كنت أحاول أن أقف. أن أستند عليك حين سقطت من السلم على الأرض. لكم أحب الحصول عليه.

- على ماذا؟

- أشعر كأن أعصابي قطار منفلت. لا أحب أن أكون مثل هذا الشخص الذي يفكر في حقيقة الأشياء. التفكير شيء قذر. يذكرني بشقيقي. أنا أصبح مثله. لكم أحب الحصول عليه؟

- تواظب على قول هذا. ماذا تقصد؟ أقصد يمكنني أن أحصل عليه من أجلك.

- لا.

- لم لا؟

- كم أحب أن أحشو جيوبي بلحم الخنزير وأقضي ليلتي في الغابة.

ماذا؟ ما قصة الانتحار في الغابة. هل هناك جانب رومانسي فيها لا أفهمه.

عض يده اليسرى هكذا. غطى عينيه وهو يئن. بدا كأن أحداً ما يخرج منه رصاصة دون تخدير.

يا إلهي! أقصد الرجل يبدو أنه يعاني الكثير أو ربما هو فقط مجنون. نعم لوكو.

لا أعرف؟

بدا لي أنه يملك الصيغة المناسبة لإطلاق عاصفة مريخية تدمر هذا العالم.

ربما فعل بطريقته الخاصة.

ماذا؟ ماذا تقصد؟

سأنقل إليك ما سمعته من النادلة الصينية. بعد أيام عدة دخل على برغر كنغ وهو يحمل سلاح كي 47 ومسدس ويسون اند سميث اثري. هدد الجميع. صعد على المنضدة. يطلب مليوناً وأربعة وعشرين دولاراً. نعم مبلغ محدد من أجل أن يطلق سراح الرهائن. كان يوجد محارب قديم. نعم مثلي أنا. حرضه على الوقوف بالدور. "هذا بنك في عام 1951 قبل أن يقفل لأن صاحب البنك كانت له ميول نازية. من أنت يا رجل. مسافر زمني؟ خمن ماذا؟ أخطأت. تعال إلى هنا قبل أربعين سنة".

هواه.

أها.

وبعد ذلك.

أطلق عليه النار ماريشال وصل إلى تلك المدينة بالخطأ. كان يبحث عن وجبة هادئة بعيداً عن الصخب.

هكذا إذن.

لم لا.

تعرف. لم أعرف أن حياتي نكتة تافهة قبل أن أرى أسنان طبيبي النفسي وهو يضحك مني.

آمين على هذا. انضم إلى النادي. الجميع هنا. لم يبقَ سواك لكي تعترف.

علينا أن نشرب نخب حياتنا التافهة، نخباً لجميع أولاد العمة هاجر في كل مكان.

جيرز!

جيرز!

V

(1)

لصنع سجادة سحرية لاستجواب الأرواح، وللحصول على إجابة تتعلق بما تحتاج، اقتنِ سجادة من الصوف الأبيض مصنوعة من وقت قريب. وعندما يكون القمر مكتملاً في برج الجدي وبعد ساعة من شروق الشمس يجب أن تذهب بعيداً في الريف، بعيداً عن مساكن البشر. مكان متحرر من كل الأشياء غير النقية. افرش السجادة. رأسها يواجه الشرق. والآخر الغرب. اصنع دائرة مغلقة. ابقَ فيها. احمل عصى قصيرة. عندما تواجه الشرق قل اسم القديس مايكل. والشمال للقديس رافاييل. الغرب للقديس غابرييل. والجنوب للقديس موريل. ارجع إلى اتجاه الشرق. ادعُ بكل قلبك للاسم العظيم اغلا. تناول بيدك اليسرى جزءاً من السجادة. حوّل موقعها باتجاه الشمال. اعمل هكذا مع ما تبقى من أجزائها. بعد ذلك ارفعها من على الأرض. يجب ألا تلمس التراب. عندما تواجه الشرق. قل الصلاة المقدسة التالية:

اغلا. اغلا. اغلا. اغلا. يا إلهنا العظيم رب هذا الكون الذي يحكم أقسامه الواسعة الأربعة. بواسطة العزيمة والفضيلة للأحرف الأربعة من الاسم المقدس. تتراغراماتون. يود. ها. فاو. بارك الاسم المغطى بما أحمل كما باركت عباءة إيليا على يد إليشع المحمولة بواسطة أجنحة. لا شيء يمكن أن يؤذيني. حتى كما قيل: سيختبئ تحت أجنحته وتحت ريشه تكمن الحقيقة. حقيقته التي ستكون حصني وحزامي.

بعد ذلك اطوِ السجادة. قل الكلمات على التوالي:

ريكابوستريا. كابوستريا. بوستريا. تيرا. را. ا

وعندما تريد ابدأ الحوار. في تلك الليلة، اكتب على جزء من مخطوطة عذراء ملونة بالأزرق اللازوردي بقلم مصنوع من ريشة حمامة السؤال الذي تبحث عن إجابة عنه. احرق بخوراً. احمل السجادة. اطوها. اركع على الأرض. وجهك على التراب. قبل انتهاء البخور احمل جزءاً من النار تحت البخور وضعه تحت السجادة. احمل الغصن عالياً تحت ذقنك. احمل بيدك اليمنى جزءاً من المخطوطة فوق جبهتك. قل الكلمات التالية:

فيغالا. هاميكاتا. اومسا. تيراتا. يه. داه. ما. باكساسوكسا. اون. هوراه. هيميسير. يا إله الوفرة. أرسل إليّ إلهام الضوء. اجعلني أكتشف السر الذي أسأل عنه أياً كان. اجعلني أبحث عنه بواسطة الوزير المقدس رازييل. تزافنييل. ماتمونييل. انظر. من يريد الحقيقة في الشباب. الأشياء المختبئة تجعلني أكثر حكمة. ريكابوستريا. كابوستريا. بوستريا. تيرا. را. ا. كاركاهيتا. كاهيتا. هيتا. تا.

بعدها ستسمع الإجابة بصورة واضحة...

أما إذا فشلنا، وهذا ما سيحدث، فيمكنك أن تؤلف قصة وتتوقع الأسوأ، كالعادة.

(2)

- سناف

- ماذا؟ هل سمعت سناف؟

- أها. س-ن-ا-ف. أنت تعرف هذا المصطلح. صحيح؟ من هنا وهناك.

- يا إلهي! هل تريد ميكروفوناً لكي تعلم الجميع بما نتكلم عنه؟ هي يا رجل. حافظ على الصوت الواطئ. جييز !

- انظر. عندما يقوم أحدهم بتصوير جريمة قتل وبيعها هنا وهناك في كاي مارت المنحرفين هذا ما أعنيه بكلمة سناف. يوجد العديد من المعجبين بهذا الانحراف. حظاً طيباً في إثبات هذا. نصيحتي لك يا رجل. مهلاً ثانية واحدة. هل أريته لأحد ما؟ أوكي. إذا كان جوابك بلا. فواظب على هذا لأنك ستتهم بشيء ما. لا أعرف المادة في القانون التي تلم بهذا الأمر. ثق بي في هذا.

- نعم. نعم. أعرف. هل لديك أي علم باللغة التي يتكلمون بها؟

- لا أعرف. هي أصلاً باليونانية. ههه. اعذرني. أنا حقاً لا أعرف أي شيء عن هذا الموضوع. أوه يا رجل. لكن أين هو؟

- من تقصد؟

- صديقي. أول مرة أراك فيها من دون أبّوت يا كوستيلو. تعرف ما أعنيه؟ صديقك العجوز يول برينر بشعر أبيض. هيا. هل هو في الخارج؟ ادعُ هذا الغولاش العجوز إلى هنا.

- في البداية أنا في عجلة من أمري. هل هناك فرصة أنك تقصد الرجل الذي كان معي قبل أيام. لا أعرف أين هو الآن؟ هنا وهناك. ربما لديه موعد. أو...

- لم تبدو غاضباً. أنا لم أقل شيئاً مسيئاً. أليس كذلك؟

- لا. على ما أظن. ليس كما تقول. لكن عليّ أن أرحل من هنا. أراك في الجوار.
- لا آمل هذا. فقط أمزح.
- أوكي.

غولاش. لكن. هل أبدو لك من هنغاريا؟ لا أقصد أنني جائع. لم اسم هذا البلد مربك هكذا. من أربعين سنة من الآن. لقال عني إنني هيبي أو موكي أو حتى هوك نوز. لا أعرف ماذا يطلق على اليهود هذه الأيام؟ في أيام الجيش كنا نحب الشتائم الإثنية: البوبا، الردنيك، التشنك، كلانتاكي. لم يكن الأمر محرجاً أو ساحباً إلى قاعة المحكمة كما يجري هذه الأيام. كلمة خطأ واحدة كفيلة أن تخسرك كل أموال رصيدك البنكي. إذن أعرف أنك تريد شيئاً ما. اطمئن، هذه عادة اجتماعية. لذلك ترافقني، تجلس معي، تتحملني. واحد من البابي غاي أو ما يطلق على الجنود الكبار في السن. أنت لا تحب الشطرنج؟ يمكنني معرفة هذا. أنت سيئ فيها. مثل هانز زمر يلعب كرة السلة. تعرف. ثلاثة أرباع حياتي هي نوع من الحرب، صراع لكي أصبح كاتباً. قضيت بعض الوقت في المكتبات. عاشرت العاهرات والمشردين. نمت في شوارع غرنيتش فيلج. اللعنة. بدأ الأمر أشبه بالبحث عن السنارك. لم أكتب شيئاً. تعرضت إلى الضرب وآلام لا تغتفر في البطن. الأكل السيئ الذي كنت أطفحه حتى أنني اعتقدت أنني مايزي. سمعت من أحد ما أن السدومية هي طريقة الكون المعقدة لإخبارك عن الإبداع الذي يجاهد للخروج منك. أردت أن أكون كذلك. عليّ أن أكون شيئاً ما قبل أن أعبر الأبواب البلورية. لا أعرف يا رجل. لم أشعر به. كتبت العديد من القصص التي تتحدث عن اليهود في منهاتن السفلى. ردت عليّ إحدى الصحف أن فيليب روث واحد أكثر من ملائم. لم أكن سمعت عنه من قبل. اعتقدت في البداية أنه أسلوب متكلف للشتيمة. مثل فريغن أو موذر اوف بيرلز. لكن لم أتوقف. سألت أمينة المكتبة عن السيد روث هذا لتقول لي: "يا عزيزي إنه كاتب أميركي". انتظرت أن تكمل الشرح. همست من دون نية أن تكون مسموعة لي: "ماذا فعلت لأنتقل إلى البرونكس". أرجو المعذرة؟ خرجت من المكتبة وأنا أشعر بالإهانة. أعرف أنها قالت شيئاً مسيئاً إليّ. بحق الجحيم. توقفت بجانب عمود إنارة. اقترب مني كلب بودل صغير. رفع قائمته الخلفية وتبول على قاعدة العمود. تعرف لم تبدو هذه النوعية من الكلاب كأنها حزينة؟ ليست جميع الكلاب كذلك. هل نظرت إلى وجهها يوماً؟ لا يهم. عرفت أنني لا أملك أي مكان خاص بي في هذا العالم. حتى إن فكرت في صنع واحد. أنا أكثر كسلاً من أن أخطط أو حتى الاستيقاظ من النوم والبحث عنه. أخرجت محفظتي من جيبي الخلفي. عددت ما تبقى فيها من المال. 64 دولاراً. لا يكفي لأي شيء. فكرت أنه حان الوقت لطلب المال من الرجل القديم. تخيل الأمر. عليّ أن أنتظر أن يكمل وعظه

الأبوي لدقائق وآخذ مجموعة من البنجامين وأرحل من هناك بسرعة جحيمية. ما زلت أقف وسط تلك الأيام. مرات تمطر. مرات أنام على الأرصفة. لا أعرف. كأنني وسط عالم ناءٍ. مدن البالوكافيل. بضعة أميال في الشرق وسأصطدم بجدار عازل. ماي غلوب لعينة. كنت دائماً ما أكون العجلة الثالثة التي لا أحد يهتم بها. حاولت الخروج من تحت الأرض. استنشقت عادم سيارة تجاوزتني. رجعت إلى حذائي، إلى بدلة جسدي. هل ستصدقني إذا قلت هذا ليس جميلاً. تركت جزيرة روبنسون رأسي. شممت عطراً غريباً. آثار شيء ما هنا. مفتاح أرخى باباً متزمتاً. رجعت إلى غرفتي. لم أكن مهتماً بالنوم. تفحصت آلة الكتابة سميث-كورونا. تلمستها. غريبة الأشياء التي تبقى وفية لنا من دون أي مقابل. كتبت. كتبت. كتبت طوال الليل قصة تتحدث عن مشرد سكير يشاهد ممثلاً مشهوراً في كل مكان يذهب إليه. في يوم من هذه الأيام اقترب منه ليحاول الحصول منه على اوتوغراف. من لا يفعل هذا خاصة بعد أن رافقه إلى جميع الأمكنة التي يتسكع فيها: الكنيس. الحمام العمومي. حتى ماخور السيدة ايميري. دخل زقاقاً في نهاية واحدة خلف مطعم صيني للنودلز. نادى عليه. التفت الممثل المشهور نحوه. تذكر دوره الكبير في فيلم سابواي إن ذا سكاي. حيّاه بيده اليسرى. اقترب منه وهو يهم بإخراج كتاب يتحدث عن تاريخ الخدع السينمائية. لم يصدق عينيه عندما لمعت سكينة شيف شانك، أي ما يطلق عليها في لغة الشوارع. هجم عليه كمن يبحث عن عناق. شعر بشيء معدني يخترق بطنه مرات عدة. شعر كأنه قُسم إلى نصفين. قهقه في وجهه. لا يزال يعتقد أنه يحلم. أجلسه على الجدار وعلى وجهه ابتسامة بلهاء. اعتذر منه. ظل الممثل المشهور ينظر إليه. ماذا؟ لقد طعنتك للتو. مد يده يتلمس سترته. سرق محفظته. أخذ كل الكاش ورمى الباقي على الإسفلت. الزقاق الفارغ. يتذكر كم كان يحب الكوكيز منذ كان صغيراً. لهذا يملك أمعاء ضاجة. تتسلل الحياة منه مثل بطارية هاتف الآيفون. اقترب رجل صيني. الابتسامة ملتصقة على شفتيه بعد أن فارق الحياة. لم يعلم الصيني أنه ميت. الظلام. الشارع معتم. ظنه رجلاً مخمورا ولهذا فكر في سرقته. الحاجة يا رجل. فتش ملابسه. لم يجد أي شيء. ركله في بطنه وغادر الزقاق من دون أن يبلغ أي أحد. في الصباح اتجهت إلى مكتب البريد وأرسلتها إلى مجلة أميركان ريفيو. كنت واثقاً أنني فعلتها. لا أعرف كيف. لكن هذه المرة مختلفة. لم أدرك أنني كنت محقاً. ردوا عليّ بعد عشرين يوماً بأنهم سينشرونها في العدد المقبل مرسلين معها شيكاً بخمسة وسبعين دولاراً. يا إلهي! من الصعب الرجوع عبر الزمن من دون أن نثير شيئاً ما، مثل أن نعبث في الجمر. من الصعب فهم ما فعلته نسختي الشابة في ذلك الوقت. كنت مزيجاً غير متجانس بين طير وسمكة. أريد

الهرب. أريد أن أضيع. كيف؟ تك توك. زمني انتهى. أصبحت رجلاً عجوزاً. إن كنت لم ترَ ذلك بعد، فالثرثرة كل ما تبقى لنا. إذن، اعرض أوراقك كلها على المنضدة الآن.

خطر الأمر في بالي لكن. أعرف. لم أقدر سوى على تجاهله. تعرف. السناف. أوه أرجوك. إنها أسطورة مدنية قادمة من هوليوود. من وجهة نظر صحفية الأمر مليء بالمطبات. لا يمكنك أن تقود فيه بسلاسة محرك اس يو في. الموضوع غير مؤكد يا رجل. لذا أخرجت هاتفي النقال. دخلت على متصفح غوغل كروم. كتبت في محرك البحث. تقول إحدى المقالات إن أصل الكلمة قادم من العامية البريطانية حيث سناف تعني الموت، ليستخدم نفس المصطلح الآن المنتج شاكلتون كخدعة تسويقية لفيلم مستقل من إنتاج مايكل وروبيرتا فندلي: سلوتر. بين عامي 1971 و1975 تم تصويره بكامله في الأرجنتين. كُتب تحت البوستر: حيث الأرواح لا تساوي شيئاً هناك. وزع الفيلم في الولايات المتحدة متعمدين أن يعيدوا إلى الواجهة ما حدث في جرائم العائلة مانسون التي عرفت باسم قضية تايت/لابيانكا.

المشكلة الأخرى الكلمات القليلة المتبادلة داخل مقطع الفيديو. عددت من ثلاث إلى ست كلمات إن تجاوزنا بعض الهمهمة. الخربشة الصوتية للكاميرا. أزيز صراصر ليل قريبة. رأيت نخلة تتحرك. حتى القمر بدا كأنه معلقاً فوقها، إن لم تكن بقعة ضوء قادمة من أحد البيوت القريبة. كلاكسون سيطر على المشهد لثوانٍ قبل أن يخفت في النهاية. كتبت بعض التفاصيل من أجل السيطرة على الخلفية. حاولت البحث عن مواقع شجرة النخيل. هناك العديد من الأنواع. لا يمكنني معرفة أي واحد لأن نقاوة المشهد لا تعطي الكثير. فكرت أنه عليّ طلب المساعدة من أحد الخبراء اللغويين. هل تعرف أي أحد يمكنني عرض الأمر عليه؟ لا. اللعنة.

بعد ذلك شعرت بالجوع ولذا كان عليّ الرجوع إلى شقتي. تعرف ما أقصده؟ دخلت إلى البناية ووجدت دراجات هوائية بالقرب من بئر السلم. اعتقدت أن جاري الجديد يقيم حفلة. مرة أخرى. يحب ركوب البي أم اكس والتباهي بجسده الرياضي كأن حياته إعلان تلفزيوني. ماذا حل بك؟ لم تنظر إليّ هكذا. أنا لا أغار منه. هل الأمر واضح هكذا؟ ربما لك فقط. انظر. هل تدرك كم سعر دراجته الهوائية وحدها. أكثر من ألفي دولار. هذا ما تقوله فتاة الإعلان الشقراء ذات المؤخرة المنحوتة وهي تملي على المشاهدين بصوت مغناج. تركز على بعض الفونيمات الغريبة من الصوت الحاد للأوتار الصوتية. مقدار المال الذي يمكنهم الاستغناء عنه من أجل إرضائها. علينا تدليل أنفسنا وألا نعيش فقط في عطل نهاية الأسبوع. هذا ما تكرمت به. ماذا يعني هذا؟ قل أنت. أحد أصدقائي السابقين اشترى حاسوب لينوفو بثلاثة آلاف دولار بعد أن باع أحد كتبه لدار شوستر اند

شوستر بصفقة كبيرة. أعرف. أبدو مثل زوجة متذمرة. تعرف. العار، الشيء الوحيد الذي يخطر في بالي دائماً. هواه. فاكنغ هوت دام. لا يمكنني تخيله يغادر. بمجرد أن أغمض عيني، بمجرد أن أغلق عيني اللعينة. أوكي. التذمر لا يليق سوى بمسلسل زوجات يائسات. تعرف. كانت لجاري قصة مع صاحبة البناية. تعرفها. العجوز التي تشبه اورسولا لو غون، التي قلت إنها تذكرك باقتباس قاله روبرت فروست: "كعكة تركت تحت المطر". الخاسرة الأبدية من أحد البرامج الجينية السرية. تعرف ماذا أرادت مني في أحد الأيام؟ تحملني قليلاً. أن أدفع لتصليح الأرضية المتكسرة في السلالم. ماذا تراني قلت لها. بحق يهوذا الإسخريوطي. كانت معروفة بالطلب من المستأجرين المال لتصليح حتى الثقوب التي يصنعها العنكبوت لوضع بيضه. المسكين. ما الإجابة النموذجية للتعامل مع أصحاب الأملاك القحاب. قلت لها إنه عليّ التفكير في هذا الأمر. عليها أن تعرض الموضوع على مجلس المستأجرين في واحد من الاجتماعات الدورية التي طبعاً لم أحضرها أبداً. المواضيع تغيرت. لم تتناسل من أيامك. لا. ليس مثل انعطاف غير متوقع في حبكة. قبل أشهر مات جاري في الشقة التي تقع فوقي. لم أعرف أنه كان شرطياً ومات لأسباب طبيعية في مركز الشرطة ليأتي هذا المستأجر من مكان مجهول ببشرته البرونزية وشعره الفاحم وجسده الرياضي. بدا لاتينياً لي. ربما من الشرق الأوسط. لم أعرف اسمه. لا أتذكر هل قاله حتى بعد لقاءاتي العابرة معه. ربما لم أهتم بتعريف نفسي. لا تنقصني شخصية أخرى لكي أهتم بتجنبها. تعرض في البداية إلى الاستقبال المعهود من المالكة، السيدة لعازر. هههاي. لكن سمعت أن احتفال الترحيب انتهى. بعد أن أتت إحدى ضابطات الشرطة في يوم السبت سألتني عما يجري في هذه البناية. فوجئت. أقفلت على فضولي الصحفي ولم أسألها عن السبب. ظللت أحدق فيها. وجهها بشع ببقايا حب الشباب الذي لم يعالج جيداً. ربما شعرت قليلاً بالانزعاج لأنها عندما غادرت قالت لي إنني أحتاج إلى مساعدة جدية. ماذا تقصد؟ أردت أن أرد عليها. من أنت. فراشة اجتماعية. تحتاجين إلى بعض التعليق الجدي من المرآة. ربما كان موضوع الأرق وأكل الشيبس له علاقة بنوع اللامبالاة التي أعاني منها. طبعاً لم أقل ما أفكر فيه. هناك قوانين اجتماعية تحرم هذا. أخبرتها أنني أعود في الليل. أصعد السلم. لا أعلم حتى أسماء الكلاب التي تعيش هنا. لم أحضر أي اجتماع مع سكان البناية منذ أشهر. آخر واحد كان حول الرسوم على الجدران. أحدهم كان يريد أن يصبح بانكسي آخر ويرسم الرؤساء الأميركيين بقرون وأفاعٍ تخرج من لسانهم. ذلك اليوم كنت رجعت من عند صاحب متجر الإلكترونيات. صديق تعرفت إليه عندما كان جزءاً من ريبورتاج حول تجسسه على جيرانه. لا لم يكن هو. كان شقيقه الأصغر الذي استغل معدات أخيه الأكبر. ذكرني بتقرير صنعه غاي تاليس عن

صاحب موتيل يتجسس على زبائنه. الآن هو يتعالج في المستشفى بعد تعرضه إلى الاغتصاب بآلة حادة في سجن الأحداث. وجدت مالكة البناية بانتظاري جالسة بالقرب من المصعد. كنت أعبث في صفيحة الهاتف. طريقة تكوم جسدها على الدرجتين نوعاً ما كأنها نصف كرسي، كأنها غارقة فيه. تضع يدها اليمنى على عينها اليسرى. نعم تحدق فيّ بعين واحدة مثل فلاش لايت لعين. ترتجف. كان هناك إعصار يقف فوق رأسها. فكرت أن أهش على القطة. كانت تحدق في. أردت تجاوزها لكن الجاذبية تغيرت عندها وأحست بي. لهثت بمجرد أن رفعت طولها وواجهتني. بدا كأنها مهمة صعبة في جسد نحيل. سمي الدم مثلها. أربكني المشهد حين تحدثت معي. لا تزال تغطي عينها اليسرى. هل تفعل مثل رجال القراصنة. أردت أن أحطم هذه الأسطورة عن السادة البوكانييرز. يضعون الرقعة السوداء في النهار من أجل الرؤية الجيدة في الليل. تجربة علمية مؤكدة. يمكنك أن ترى بواحدة وتغمض الأخرى حتى لا تصاب بكسل البؤبؤ. لا حاجة إلى الاستطراد. كان عليّ الهرب وتركها وحدها. سخيف. مريب. كأنها تحاول البحث في جيوبي. شعرت أن فيها خطباً ما. سألتني. لا أتذكر ماذا كان. خرجت من لقائي معها من أنها قد تكون قد تعرضت إلى الضرب. نعم. أعرف ماذا أعنيه. ربما يبدو جنونياً. من يضرب عجوزاً في السبعين؟ هي مجموعة عظام داخل كنزة وتنورة. لم يحضر أي أحد في بالي سوى جاري في الشقة العلوية. لماذا؟ لا أملك أدنى فكرة. شعرت بالحاجة إلى فعل هذا. ربما توجد علاقة ما تربط بين هذين الاثنين. تعرف. فكرت في فعلها مرات عدة. ضربها بالمكنسة. مكنسة الساحرات التي تخفيها في الكهف الذي تعيش فيه. سرقتها. مرات كثيرة فكرت في هذا. لم تنظر إليّ هكذا. واحدة فقط. من أجل أن أعيد إلى ذهنها لون الدم الذي نسيته. واضع بعض الرنين داخل أذنيها المشعرتين. لا أمزح. القفز عليها. مثل الكاميكازي. بانساييييييي. أنت تفهم ما أعنيه لأنها بالفعل ألم لا يتزحزح في المؤخرة. تعامل معنا. نحن صيصان صغيرة مقموعون من أصحاب الدواجن. لا يمكننا أن نقاتل على طول اليوم. جميع سكان البناية أصحاب وظائف. تعرف ماذا يجري في أنظمة العبودية الجديدة. الجميع متعبون يا رجل. هكذا. وجدت العجوز بعض المستأجرين يوافقونها. لم لا. رائحة فمها كريهة. عليهم إطعامها بعض التفاح مثل أحصنة السباقات. طريقة لفظها الكلمات إثنية من مكان ما. كأنها تلوك لقمة وتخرج معها آلاف من الرذاذ والفضاضة. سألت أحد الأصدقاء في الصحيفة هل يعرف أي أحد في مركز شرطة قرية بابيلون. ذعر من هذا السؤال. أوقفت مخاوفه بوضع يدي على كتفه. قلت له إنه بخصوص قضية أعمل عليها. رجع إلى الأرض معيداً إلى رأسه فائدة التنفس من الأنف. لا أعرف لم جفل من سؤالي. هو لا يعرفني. لم ينتقل إلى هنا سوى من أسابيع. في ماذا كان يفكر؟ نحن نعمل في صحيفة

لخاطر فريدي ميركوري. لا أعرف. لا أستطيع التفكير كما كنت في السابق. لا يمكنني حتى تذكر حلم الليلة السابقة. أها. تجد الأمر مريباً؟ لا. انتظرته عدة أيام. نعم. ماذا عليّ أن أفعل؟ منذ أتت العجوز في ذلك اليوم وأنا أشعر بأننا مقبلون على إعصار له اسم أنثوي. لم أحسبها يا رجل. هل تتخيل أن العجوز وضعت كاميرات مراقبة. أها. لا أعرف في ماذا كانت تفكر. لقد حصل الذي حصل. الله يعرف ما كان هذا ولا أحد بالغباء المناسب لكي يعيد الكرة. إحدى الجارات أرادت أن تقدم شكوى لأنها اعتبرت الأمر ضد الخصوصية. لكن العجوز لا ترد على تلفونها. لا أحد عرف لم فكرت في أن ترحمنا من رؤية وجهها. لقد تنسكت. تقصد ديفون هوف. كان سكان البناية يطلقون عليه هذا الاسم. هذا دراج أميركي. لا يهم. سمعته من جاري في الأسفل. يقول إنه حضر إحدى حفلاته الصاخبة. فوجئت بالأمر وسألته عن المالكة العجوز. كيف ستسمح له بذلك. قال لي ببساطة إنه تكفل ذلك. لقد حسم. غمز لي بعينه اليسرى. بدا كأنه اعتقد أنه أفحمني أو أي شيء لأنه وضع يده على كتفي. أردت أن أوقفه لكي يشرح لي لكنه كان راضياً عن حركته ولم أرد إزعاجه. ربما لأنه ركض وهو يبرر لي أنه تأخر عن برنامجه الرياضي في حانة اريش نو لاك على الناصية. ماذا يعني أنه قد حسم؟ أعتقد أنني ركضت لأميال. الأدرينالين يتساقط مني مع العرق. مثل هامستر. لقد تعبت يا رجل. النوم حتى هذا يتعبني. كأنني معلق على السرير. أنام على جدار. الجاذبية توقظني كل أربع دقائق. مقطع الفيديو أتعبني. أصبحت مهووساً. حتى أنني بدأت أهتم بما يجري في البناية. أعلم. عوّدتهم عدم ذكري في أي شيء أو حتى إزعاجي. الشبح الذي يدفع الإيجار. أردت أن أُترك وحدي. لكن الآن انظر إلي. أعلم. أبدو مثل من خرج من السجن. ذقن طويل. أعرف. مرت سبعة عشر يوماً منذ آخر مرة دخلت فيها إلى محل حلاقة. بدأ كل شيء في ذلك اليوم. من دون الناس جميعاً. يقع في يدي فلاش. تخيل. كم هي الاحتمالات. الكارما عاهرة. أنا. انظر إلي. اخرج من جسدك العجوز وامشِ بحذائي لدقائق. تحملني. لم أنا. تخيل، أعمدة الشوارع لها حياة سرية. هذا ما كان لدي. كل ما يهم. رأسمالي. نعم. لدي خيال. لكنه لعنة يا رجل. لعنة من سماء الفايكنغ. الجدول الدوري لعالمي. أود لو أضع بعض المصائد لإيقاف الفئران. أسمعها تركض في كل مكان. أود لو أوقفه مثل تورنيكة على ساعد يد.

أفكر كثيراً في ذلك الطفل. أعرف. يمكن أن يكون خدعة. يمكن لا. لكن لا أعرف. أريد أن أتأكد. لا أعرف أين سمعت قصة عن أحد القتلة المأجورين حين رفض مهمة. نعم. ربما قرأت الأمر في صحيفة أو أي شيء. الهدف ولد في العاشرة. دخل في وصية ملتي بليونير. أحدهم أراد إخراجه من المعادلة كما يقال. وضع في قائمة التخلص منه. واك. مصطلح آخر من عالم الجريمة. لا أحد أخذ

المهمة. أها. صدقني. أقصد أن جان رينو في فيلم ليون "لا أولاد. لا نساء" موضوع حقيقي. يا إلهي! عليك أن توقفني عندما أتحدث عن هذا الأمر. أعرف. لا يمكنني أنا أنام هذا اليوم. الأرق. رغم أنني قد لا أؤمن بك لكنك رافقتني من أيام. ها أنذا قادم...

(3)

راقب المدخل لحظات عدة. وضع قدمه عليه. من الممكن أن يبدو مثل ثمل. كأنه يحاول أن يغرس خطواته في آثار حذاء. مثل آثار إطارات مسرعة تركت بعض خربشات القطة على الإسفلت. لم يرد أن يقابل أي أحد. فكر أن الذهاب إلى معتزله ليس سهلاً هذه الأيام. اتفق مع ذاته، شقته التي يعتبرها أحد أكثر الأماكن ضيقاً في العالم. هل كانت من أجل أن يسكن فيها مراقب البناية. لا. لا يوجد أي مراقب للبناية. ربما أسعار الحي لا تتحمل مثل هذه المبالغات. تحولت الآن إلى أكثر الأمكنة اكتظاظاً في العالم. يشبه الأمر في فيلم ياباني أحد المعتزلين الاجتماعيين الذين يخزنون ما يغنيهم عن الالتحاق بباص العالم. الجحيم على مقاسه. كل شيء أكبر من المعتاد. ذكرى. حلم. أمنية خاصة. أغلق الباب خلفه. راقب الظلمة وهي ترتدي ظلال الأثاث. مثل قماش يستخدم في الملابس الداخلية النسائية. تلقي النافذة المطلة على الشارع. فوق الأرضية. مربع ضوء محدد. مثل قضبان سجن. ذكره بسترة التويد التي يحب أن يرتديها الأساتذة في الجامعة. ترك حقيبته تسقط واتجه نحو الحمام. النعاس. لكمات الواقع المتعبة. الثقل في الأجفان. سحابة الثمالة التي تثقل رأسه.

أغلق الضوء. النافذة. أعراض النوم الهادئ تلف الأثاث. الصمت. الظلمة المناسبة لحياكة حلم. حرية السجناء. لم يبدو كأنه نوع من التقبل شيئاً فشيئاً لأخيه الآخر؟ الموت. وضع قدمه وسط مربع الضوء وأطل على الشارع. حدق في عمود الإنارة. الضوء الليموني الذي يطلي مربع النافذة. بحث عن العمود الآخر. هذا هو. حرك جسده إلى اليسار قليلاً. أها. كأنه عملاق ينظر نحوه بنوع من السخرية والاستصغار. شعر بالخجل. حدق في الأرض. رأى ولداً يقود دراجة يدور حول عمود إنارة منطفئ في المنتصف بين الزقاق الخلفي لمطعم المأكولات التايلاندية وبين سيارة متوقفة نوع اس يو في تريلر بلايزر. لم لا يذهب إلى سريره الآن. الوقت أكثر من مناسب. كلما أطال هذه المسرحية، وجد نفسه مضطراً إلى بصاق تفاصيل أخرى. ربما رأى هذا الولد من مكان ما. هل يسكن في هذه الأنحاء؟ يوزع الصحف في الصباح. رمى البيض عليه في الهالويين. طلب منه فكة.

رآه يقتل في مقطع فيديو. أوه. اتجه إلى الخلف. انتشل جسده. حشره في العتمة كأنه دخل إلى فجوة في جدار.

ظن أنه يتنهد أو ربما شعر بثقل في حنجرته. أراد أن يسعل. سمع دمدمة قادمة من مكان ما من أمعائه. شرب الكثير من البيرة في الغداء مع عدد من شرائح المخلل ذوات الأشكال المشابه لديلدو مطاطي. الجاذبية. الولد. لا. لا يمكنه أن يكون متأكداً من أنه يشبه الولد الذي يقتل في الفيديو. رسم عينين على زجاج النافذة. نقر تحت العينين. ووضع يده الأخرى على معدته. ترك النافذة ومشى نحو غرفته. فتح الباب. أراد أن يقول شيئاً ليكسر الصمت السحري الذي يعطر السرير. سيختار كلمة غريبة كعادته. فراتريسايد. هل عليه أن يضحك. قتل الإخوة. مدد جسده على السرير. شعر أنه يلصق شيئاً ثقيلاً على جاذبية غريبة ومتقلبة. اختنق. ساندويش من السقف والعتمة. لم يرَ وجهه الولد بعد. لم يرفع رأسه باتجاهه. الوجوه بعضها عقيمة فارغة. بعضها الآخر غاليريات من المشاعر، التواريخ، ربما الأكاذيب. صبغات المهرجين. التعرف. هذه ما تعنيه الأسماء الغريبة لكل هذه الأعراق في الكرة الأرضية. لم يرَ وجهه. لم يتحقق من عملته العرقية. ولد يرغم على مواجهة الأرض متخذاً وضعية كلب. مشهد أكل الغائط من فيلم سالو لبازوليني. ينحني رجل. وجه غريب يخرج من الظلمة السائلة. بدا كأنه يقول شيئاً ما في أذنه. هل تخيل أنه سيقتله؟ أو ربما يحاول إخافته فقط. بووو. كان عليه أن يقول له شيئاً ما مخيفاً لأي ولد في عمره. باتمان يموت في النهاية. التنانين حية تعيش في جبل راشمور. كما ظن هو نفسه عندما كان في نفس العمر. الأمر يذكره بحادثة سمع عنها وكتبها في ملاحظة وضعها في علبة الأحذية التي يحتفظ فيها بعدد من الأوراق. ذخيرة ليوم آخر. ولد في الحادية عشرة مع عدد من أصدقائه يخطف ولداً صغيراً في الرابعة إلى بقعة معزولة. لا يتذكر في أي بارك هنا. ليغتصبوه ويقتلوه بتهشيم رأسه بحجر كبير تنمو عليه الطحالب رغم أنه بعيد عن البحيرة. اهتم أحد المحققين بأن الأولاد ربما سبحوا قليلاً في إحدى البحيرات. كريستال ناخت لصراخ الولد الصغير. ركض نحو الحمام ليتقيأ. شعر بشيء حار يخرج من بين حنجرته مثل حبل من الخيش يسحبه من بين قصبته الهوائية. سيموت في الحمام. تلوى قليلاً. سقط على الأرض. رجع إلى جسده. أحس به. شعر بالخدر تحت رأسه ينمو مثل وسادة. اعتقد أنه سقط على الأرض بقوة. قبعة باناما. هل كان الولد على الدراجة الهوائية يرتدي قبعة باناما. ماذا سيعني إن كان يرتديها أم لا. قام من أرضية الحمام البيضاء. عبر صرصور وسط الحمام واختبأ خلف المرحاض. غادر الممر نحو النافذة. الظلمة والمربع المضيء نفسه مثل حرف مضيء وسط كيبورد. وقف في المنتصف. نظر نحو الأسفل. بدا أنه يقول له شيئاً ما أو هو تخيل هذا. لم يرد أن

يفكر في ما سيفعله. لم يرد أن يدخل في رأسه ويطلع على تخيلاته الغريبة والمنحرفة العابرة للبحار. الولد يعبث بدراجته. قام. التف إلى اليسار. اقترب مربع متحرك. وضع يده على عينيه ليتقي الضوء الذي يغسله. توقفت السيارة أمام البناية. سحب الولد دراجته وغادر بالاتجاه المعاكس. بدا غير متأكد من ارتداء الولد قبعة باناما من عدمه. دخلت السيارة في إطار اهتمامه الآن. فكر أن عليه أن يبحث في هاتف رسغه لكي يضع خطاً زمنياً لما يفعله الآن. يضيع الوقت والنعاس والرغبة في التمدد على السرير. اعتقد أنه أراد أن ينام، أن يتخلص من تعب النهار ويغسله في النوم، أن يغطس واقعه الذي يثقله ويعلمه السباحة في رأسه. النوم. عالم آخر. واقع موازٍ. اخترع فقط من أجل أن نضحك من أنفسنا وأنه بمقدورنا أن نصحح الأمور ونعيش أمنياتنا. دق الباب. وجد هاتف الرسغ بالقرب من حذائه الرياضي. هل سمع الباب يدق. لم يكن متأكداً. أنصت. سمع صوت إطلاق رصاصة واحدة. نظر نحو النافذة. هل هناك إطلاق نار. ربما الأمر داخل رأسه. أها. لم لا. على شخص ما أن يذكر بما كان يفعل عندما كان مريضاً في المستشفى. على شخص ما أن يفعل شيئاً ما. دق الباب. انتبه نحو مستطيل الخشب الواقف. جرته غريزته نحو الباب رغم أن المكان تعمه الظلمة. بحث عن زر الإضاءة بالقرب من الباب. رجعت أحشاء الغرفة إلى الحياة. ابتسم وهو يواجه طارق الباب الغريب.

- هلو.

- أهلاً.

- آسفة. هل أتيتك في وقت غير مناسب؟

- لا. بم أخدمك؟

- أوكي. آسفة. أعلم أن الوقت متأخر. لكن. كيف أضعها في جملة مفيدة؟ إليك الأمر. سمعت ضجة. تعرف. النساء والوحدة والضجة. النوم بهدوء لا يمكنك أن تضعها في جملة مفيدة. هل تقدر؟ آسفة مرة أخرى. لكن. آمل أنني لا أتطفل هنا. أعتقد أنني...

- لا يهم. سأرى ما يمكنني أن أفعل.

- شكراً. شكراً لك. أنا مدينة لك كثيراً.

- إذن.

ماذا؟

لقد كانت واقفة تحدق في.

إذن.

تعرف. لقد ظننت أنها ربما تعاني من النار كوليبسي.

أوه. أعتقد بأنك تبالغ الآن.

لا يعرف لم خرج معها. هو لم يرها من قبل. ترتدي تي شيرت رياضياً وشورت جينز.

كيف كانت؟

لم؟

لا تتركني معلقاً هكذا. أنا أعاني من الدوار...

ليست طويلة. نحيفة. ربما تخاف من العواصف. أول انطباع أخذته عنها هي موديل. صورة نمطية أخرى للبوليميا ومساوئ هوليوود على البشرية. عقيدة الموديلات هي أن تأكل كل شيء. تذهب إلى الحمام. تضع فرشاة الأسنان داخل فمها. تدلك لوزتيها. تترك الباقي لحاسة الاشمئزاز المدفونة هناك. لم تضحك؟ دعني أكمل يا رجل...

- هل التقينا من قبل.

- عفواً. ماذا؟

- أسكن في شقة بي 121. اعتقدت أنني تعرفت إلى الجميع. تعرف. كان عليّ فعل ذلك. نحن نسكن في مكان أفقي بين جدارين. اليوم هو الأربعاء. إذن مضى عليّ هنا تسعة أشهر. قدمت من مكان بعيد. ايثاكا. ليس خطئي أنها ليست مثيرة إلى هذه الدرجة. لكن. تعرف شيئاً. أنا أعتبره هكذا. على المستوى الفوق ذري ها ها ها. كأنني النصف الثاني من الفيسكونت المشطور. جزء بقي مني هناك. يمشي وحده مثل متلازمة الثدي الشبح. يا الله. المكان هادئ، مخيف. الأفلام عودتنا إدانة الهدوء لأنه دائماً ما يخفي شيئاً ما خلفه. أين كنا؟ انظر. الثدي الشبح. أثناء عملية إزالته عندما يصاب بورم غير قابل للشفاء تعاني النساء المصابات (الكلمة س) بعدم وجود أي نقص في أنوثتهن المكلومة. قد تقول إن الأمر نوع من الخداع الذي يمارسه العقل لكي يجعل من عملية تقبل ما جرى أكثر سهولة. إحدى الحالات التي قرأت عنها تقول إنها تشعر بوجود نوع من التحسس. كأن قشعريرة عالقة هناك. خلعت ملابسها في الحمام. حتى أنها أرادت أن تضع بعض الفازلين عليه عندما واجهها الانعكاس بالخدعة التي انطلت عليها...

ماذا كان هذا؟

شيش.

وصلنا شقتها. عندما وقفنا أمام الباب.

- صمتاً

- واو !

- آسف. اعتقدت أنني سمعت شيئاً ما.

- أها. أعتقد أن مونتغمري برنز مذنب بهذا.

- من؟

- خنزير غينيا. أحضرته من المختبر قبل أيام من أجل أن أعتني به إلى نهاية الأسبوع. يحب أن أضع له موسيقا بحيرة البجع لكي يهدئ من صراخه. الحيوان المسكين! هل يعرف أنه سيموت في نهاية هذا الشهر. آمل أنه لا يشعر بالأرق هذا اليوم. لأنني تعبة اليوم.

- أين تعملين. في مصنع تجميل؟

- أها. آسفة. أين تهذيبي. كليمنتين والاس. ادعوني كلوي. الجميع يدعوني هكذا.

- لم؟

- سؤال جيد.

كليمنتين. كلوي. واحد لاتيني والآخر يوناني. هل من الغرابة التفكير في هذه المصادفة؟ آمل أنني فكرت فيها قبلك...

لا

ماذا؟

لم أفكر في أي شيء. صفحة فارغة. تابيولا راسا.

ما هذا؟ ماركة لمنتوج إزالة التجاعيد..

لا. لم لا تقول: مرض ما. لا يهم. أكمل.

- اعتاد أن يقول إن الطريق السهل مليء بالألغام.

- من تقصدين؟

- جدي

ماذا؟

أها نعم. لم أقل لك إن بالي كان مشغولاً في أمر آخر. لهذا تجاهلت أن أوقفها وأطلب منها الشرح.

- إذن جدك جندي سابق؟

- هل هذا سؤال؟

نعم. هل هو سخيف؟

للغاية. لا يمكنك أن تسأل أميركياً، إسرائيلياً، عن الحرب. إنها نوعاً ما معمودية الرجال. أنت لم تدخل السجن، الجيش. لا أعتقد بأنك تملك ما يستحق.

أنت لست جدياً في ما تقول؟

لا. ربما. أين هو جلدك الكثيف. هل نسيته في الحمام. صلب خصيتك. الكلاب ستنهشك.

- تعرف؟ هو أحد مصممي مدينة بدروك في إحدى حروب الصحراء.

- بدروك. أين تقع هذه؟

أنت تمزح. بدروك كنا نطلق على مدينة الخيمة في السعودية. لا أعرف من فكر في هذا الاسم.

لا. أعتقد أنها مليئة بالهراء. لهذا عانيت بصعوبة في سماعها. تعرفني. لدي حساسية تجاه التفاهات...

أنا مليء بالتفاهات. أنت مليء بالتفاهات. هل سعلت في كل المرات التي تصفحت وجهك في المرآة. أجبني...

أنت محق. أنت مليء بالتفاهات الآن.

- لهذا الكثير من الأشياء تثير ذعري: الناس. المناخ. الصدور المشعرة للرجال...

- جيد لمعرفة هذا.

سمعت ضجة. طلبت منها أن تدخلني الشقة. تحرجت في البداية لأنني اعتقدت أنها قد تكون لديها رفقة. علاقة ثلاثية مع بقرة وكلب. جثة تحاول تقطيعها. لا أعرف. اتجهنا مباشرة إلى شرفة الغسيل. سألتني هل أريد شرب أي شيء. قلت لها: سكوتش. ماذا؟ أردت منها أن تسكت. اللعنة. سمعت حواراً يأتي من كل مكان. كأن أحدهم يتكلم مع الأرضية. فتحت باب الشرفة. صراخ إسعاف. شتائم. ضجة قطار قادمة من الشرق. راقبت الشرفة في الشقة التي تحتها. وقفت بجانبي. وضعت كوباً أحمر مكتوباً عليه: "إذا كان ينقصك كل شيء، فتوقع الأسوأ. إنك في معركة". رددت هذه الجملة. ماذا تعني؟

- هل رأيت هذا الرجل من قبل؟

- ماذا؟

رجل يقف على سلالم الحريق. في مواجهة النافذة. يحرك يديه. يتحدث مع شخص ما. سألتها من يسكن في الأسفل. لا أعرف الجميع هنا. هل هذا غريب؟ ليس لدي الرغبة يا رجل. قالت إنها تعتقد أنها شقة مالكة البناية.

- تعتقد أن هذا الرجل جندي؟

لم قالت هذا؟

لا أعرف. بدا كأن الرجل أعجبها. من يعرف فيم تفكر النساء؟

أنا أعرف.

لهذا أنت تقضي الليالي وحدك.

نعم. لأنني أركل كثيراً. أحب ممارسة الجنس في الحمام وعلى المنضدة.

لم أدرك أنها تستقبل ضيوفاً بمثل هذه الطريقة. ظلت تراقبه. لم أسمع رد العجوز. لا أعلم. لا تبدو واضحة من بين الشرفة الحديدية. قد يكون الرجل يتكلم مع نفسه. عندما أردت الدخول فوجئت بوجود كاميرا مراقبة على الحائط المقابل. هل يعاني مطعم البرغر كنغ من هجوم المتسولين، حيوانات الراكون المسعورة...

يبدو أنك أعجبت بها.

يبدو لي أنك تحاول سحبي لكي أقول لك ما يجري في حياتي الشخصية.

هل هذا واضح. هل عليّ أن أصرخ عالياً. ويلسون. اللعنة أين ذهبت؟

بكلمات واضحة ولا تحمل معاني مزدوجة ليس لدي أي علاقة في الوقت الحالي، أي ارتباطات، تورط عاطفي من أي نوع.

يبدو لي أنك تجاهد لكي تقنعني.

لم أفهم؟

ماذا جرى بعد هذا؟

لا شيء.

النسخة الافتتاحية. مثل مقدمة المحامين في الدفاع عن قاتل متسلسل. إذا كنت تجيد الرماية بالخناجر الصغيرة، فارمِ واحدة على القلب مباشرة. لا تجعلني أتمنى تحسنك. هل هذا واضح؟

لم تقتنع أبداً بكل ما أقول. تعتقد أنني أحاول الهرب منها. خلال الأشهر التسعة، عندما انتقلت هنا، دائماً ما كانت تعاني من نفس المشكلة، لدرجة أنها طلبت المبيت من جارتها التي تسكن وحدها ست مرات. تخيل هذا الأمر. ظننت أنها فتاة ساذجة لم تعرف بعد معنى الاستقلالية. طلبت منها أن تتشجع وتغلق الأبواب ولا تفتح لأي طارق من دون أن تنظر في العين السحرية. كأنني كنت أتحدث مع جدار. سمعتها تقول إن جارتها ليست موجودة. كان الأمر واضحاً لي مثل إوزة بيضاء في بركة من الوحل. لهذا طلبت منها أن تقضي الليلة معي إن كان هذا يريحها.

اباركادبارا.

لا. على هذه التعويذة أن تتراجع. ليس كما ظننت. عملت على قضية الفيديو وتركتها تستعمل غرفة نومي.

لم تواظب على ذكر هذا الموضوع دائماً. لم أعرف أنك أصبحت مهووساً بها إلى هذه الدرجة. أنت تعرف أن لقمة عيشك تعتمد على صفاء ذهنك. أم نسيت. آه. يا إلهي!

أعرف أنك متأكد أن هذا الأمر لم يحدث مصادفة. جدياً. كان الكون يهتم بما تشعر به. اصحَ. اص حَ...

ماذا لو كنت مخطئاً. ألم تفكر في هذا السيناريو.

ما ستجني لو اكتشفت حقيقة هذا المقطع رغم أنني أشك في هذا؟ أنرني.

لأنام بسهولة في الليل. أليس هذا واضحاً. الولد يسكن في رأسي. شيطاني الشخصي. احسبها. لا يمكنني أن أضغط الزر وأتوقف عن الهوس دقائق. أسرد القصص. أستمع لحوارات لا معنى لها. الأشخاص الغرباء يمتحنونني. أحب تناولهم بدلاً من الطعام المعتاد. لم أحب الحقائق. صلبة. أرضية كونكريت. لا تثير فزعك. أصبحت متعلقاً بها مثل الكوالا. أثرثر مع نفسي. أحوك الكلمات لصنع بلوزة لعينة. أختار كلمات قاموسية ميتة أو مناطقية معينة لجذب الانتباه. أعجب رئيس التحرير بمقالتي عن الزهور بعد حوادث السيارات لأنني أعطيت الأمر بعداً خاصاً به، مسحة آدمية للزهور وربط الجمال مع الموت. تغطية الموت الذي جرى في مكان معين بغلالة من الروائح والألوان. عليّ أن أستعير رأسك دقائق. قل: ماذا ستفعل لو كنت داخل حذائي الآن؟

عدا رقص التاب دانس وعدم التشكي من ألم المفاصل...

يا إلهي!

أواه. أنا أمزح معك. اهدأ يا رجل. تمالك أعصابك. سألعب الكرة. سأجاريك. انظر إلي. كان عليّ أن أضرب الطاولة بيدي هكذا. أريد أن أفيقك من نومك. هل يمكنك أن تقول لي متى آخر مرة أقمت علاقة؟ أقصد علاقة طبيعية بينك وبين أي امرأة. أرأيت. هذا ليس طبيعياً. عليك أن تشرح لي من دون أن تبرر أو تقيم صداقة مع شيطانك الذي يتغوط داخل رأسك الحقيقة. الجميع يريد الحقيقة لكن لا أحد يتحملها. إذا أردت أن تتعالج، فعليك أخذ الحقنة. الحقيقة هي الحقنة. ضع مرضك كله في إحدى إليتيك ودعها تتلوى من الألم. لا أعرف سبب هوسك بهذا الفيديو. تتصرف مثل راهبة لم تشاهد أي عضو ذكري طويل. ما هذا يا رجل؟ العالم كومة من الخراء. الخراء. نعم. توقف عن النظر من حولك. أنت فقط من يتحسس هكذا. الجميع عقدوا سلاماً مع هذه الفوضى. اعترف أن الأمر كان مسلياً عندما كان هوسك في حدوده الدنيا ولا يؤثر في عملك وعلاقاتك مع الناس. جميل.

نحتاج إلى قليل من الهدف. أن نصحو من النوم من دون أن يكون ذلك يوماً آخر في الجحيم. عليك أن تنظر في المرآة. أنا هو أنت. نعم. أنا مسافر عبر الزمن. أنت تتحدث مع ذاتك بعد ماذا؟ ثلاثين سنة. أربعين سنة. أنا لا شيء. اللعنة عليك. أنت تؤدي دوري في فيلم أسوأ من فيلم الغرفة لوايزو اللعين ذاك. أنت تؤدي بنفسك إلى الجحيم. لا أعرف بهذا الشأن لكنك تؤدي دوراً مناسباً لرجل في طريقه إلى الانتحار. تعرف شيئاً. لا تسألني من أين عرفت هذا؟ تعرف أن العجوز صاحبة البناية على شفير الإفلاس. طبعاً لا تعرف. لأنك تعيش في بعد زمني آخر. الرجل الذي أطلقت عليه ديفون هوف رفع قضية ضدها في المحكمة. انتظر. عليّ أن أكمل. أفاق زملاؤك في عمارة المجانين على لافتات وضعت في الممر فيها شعارات نازية ضد المثليين مثل: "ستذهب إلى الجحيم أيها السدومي. اوتوبان الجحيم يمر من شقتك". رفع قضية عليها. نعم. هو سيكسبها. عليك أن تصحو من جسدك قبل أن تجد البلدية وهي تبيع العمارة لكي تدفع للرجل. كنت داخل خبر، سبق صحافي، لكنك كنت أكثر عمياً من حيوان الخلد. يمكنك أن تخرج من هناك بأقل الخسائر لو عرفت ماذا يجري من حولك؟ تعرف شيئاً. أعتقد أن طفولتك البائسة هي السبب في ما أنت عليه الآن. ليس لديك أي مهارات اجتماعية. لا تجيد الكلام سوى على الورق. ليس لديك أي جاذبية يحس بها الناس الأسوياء. زومبي. الأكثر سخفاً هو أنني عرفت أنك ستنتهي مثلي وحيداً ليس لديه سوى مشاعر فوتوغرافية يسميها ذكريات وآلام لا تطاق في مفاصله وفي مؤخرته. انظر إلي. لا أحد يهتم بك إذا كنت تتحدث لغة الكلنغون. عبر عن نفسك بكلمات واضحة، من دون سفسطة خرائية لكي تنضم إلى النادي. آه. رجع الألم من جديد. عليّ أن أغادر. نعم. عليّ المغادرة. أريد أن أحافظ على ما تبقى من عقلي. أريد أن أموت بهدوء. لا أحتاج إلى كل هذا. الصداع هو ما يسليني. هذا أكثر من كافٍ...

VI

على العالم استعادة شعر صدره، التوقف عن تقبل مصيره مثل كلينكس تواليت. نظرت نحو عينيه، وجهه المحروث جيداً، الوجه البلاستيكي الذي يجيد التعبير عن البخار الذي يعتمل داخله. أخبرته أن لدي موعداً وأن علي المغادرة الآن. لم يقل شيئاً. جمع أحجار الشطرنج البلاستيكية ورماها في حقيبته الجلدية. قال لي إنه سيغادر إلى بيته بمجرد أن أترك المنضدة الحجرية. وقفت قليلاً لأنني لم أفهم الرابط. عندما حركت عضلة ظهري سلمت عليه ليغادر. انتظرته أن يختفي بين الأشجار. رفعت حقيبتي من على الأرض ومشيت خلفه. أردت منه أن يصمت، التوقف عن وخزي بكل هذا الدبابيس التي تخرج من فمه. لا يمكنني تحمل ما يقول. كان عليّ إيقافه. أسحب طولي من مداره، حتى إن كنت قبيحاً ومهشماً مثل نيزك. لا يمكنني حتى تذكر انعكاس وجهي. لم أعرف أي شخص بمثل هذا التأثير. لديه دائماً ما يريد قوله. كان كل شيء يدور من حوله. كنت أعتقد أننا عندما نقع في الحب نعي دوران الأرض لأننا نشعر به داخل رؤوسنا. لا. ليس هذا فقط. هذا الرجل الذي غادر للتو يحب حوك الأحاديث الجانبية مع لعبة شطرنج. هذا هو. شعرت بمعنى الأرض كروية. رجعت إلى شقتي. اتجهت مباشرة نحو الاي ماك. بحثت عن مقطوعة لفيليب غلاس. أي واحدة. كان عليّ أن أخذ هذه الجرعة الايسخيلية. أريد أن أغادر. من رأسي. من الشقة. الولاية. الكوكب. التاريخ. ثلاث طرقات من مطرقة قريبة. ضغطت على علامة السماعة في الشاشة. عددت حتى الرقم ستة. رجع صوت المطرقة مرة أخرى. لم أعرف من أين؟ لا يمكنني أن أشتكي. وسط دائرة. الضجيج يطوف من حولي مثل نقطة على هولاهوب. رجعت إلى فيليب غلاس. وجدت مقطوعة "الآنية الزجاجية". غريبة. ملائمة لاسمه. رجع صوت الطرق من جديد. إذن. الصمت البارد. الخواء الذي يمكنك أن تستمع لكلمات النقاد لآخر حلم زارك في النوم. لا. هذه من الكماليات. سويسرا. الصمت. أن أكتب بهدوء. الأمر أشبه أن ترجع الصخرة التي حملها قايين على رأسه وينجو هابيل. أعرف أنني السبب وراء كل هذا. السبب نفس النتيجة. المعادلة الرياضية التي انتهت على خير. رقم صحيح مفرد. لكن لماذا؟ لا أعرف. لا أعرف لم ألوم نفسي. ربما هذا الأمر أسهل شيء أفعله. تركت المقطوعة تسبح في الغرفة. شغلت الحاسوب الثاني الذي استعرته من صاحب متجر الإلكترونيات. يحوي برنامج تهكير لكاميرات المراقبة. كل الجرائم تحتاج إلى خمس عشرة دقيقة من الشهرة. هكرت الكاميرا التي تقع خلف بناية المطعم. صورت براند كاميرا المراقبة لأنها

أساسية في برنامج التسجيل من السي سي تي في. ضغطت على مربع الأونلاين. فتحت نافذة توضح شقتي. جانب البناية المخفي. توقفت سيارة اس يو في حمراء. تمشي خلفها امرأة تحمل كيساً أسود. أريد معرفة ماذا يجري هنا؟ قبل أيام، عندما رأيت الرجل الغريب الذي دخل إلى شقة العجوز صاحبة البناية، تدخّل عقلي الصحافي. اتجهت إلى نفس الصديق الذي تفحص مقطع الفيديو، الذي تعرفت عليه بعد أن سمعت من زميلة لي أنه كان في سينغ سينغ لأنه عبث بمحتويات هويات فيدرالية لجهاز مكافحة القرصنة الإلكترونية التابع للاف بي أي. في البداية، لم أصدق أنه فعل ما قيل لي. رجل نحيل. أشقر الشعر. أقرب إلى عارض أزياء منه إلى هكر، الذين زوروا بالصورة النمطية. البدانة وحب الشباب الذي يخسف ببشرتهم نتيجة الأكل غير الصحي الذي يحبون تناوله وهم جالسون أمام شاشات الكمبيوتر. لم يعجبه موضوع الصحافة. التابلويد. لا يريد أن يكون تحت الأضواء. حياة السجن. تغطية الصحف. فضيحة أخيه الوحيد جعلته يحب التواري تحت الرادار. أوقفت المقطوعة الموسيقية. اعتقدت أنني سمعت الباب يدق. لا. لا شيء. رجعت إلى المقطوعة. سمعت الباب يدق في بيت العجوز. لا. لم أعتقد أن الكاميرا تنقل الأصوات البعيدة عنها. حركت الكاميرا أكثر نحو شرفة صاحبة البناية. خرجت من جهة اليسار. مشت نحو اليمين بعدة خطوات بطيئة. اختفت يمين الشاشة. تأخرت ثواني. ركضت إلى اليسار. غابت في الجدار. رجعت تركض وهي تحمل سلاح صيد. غابت دقيقة واحدة. رجعت إلى الشقة. رمت نفسها على الأريكة وهي تخفي وجهها بيديها. واجهت الشاشة. حملت السلاح من حضنها وأوقفته بجانبها. قريب من المسند. أخرجت من جيبها منديلاً أبيض. وضعته على مقدمة رأسها. دخلت فتاة قصيرة. أها. نفس المرأة النحيلة التي تقع شقتها فوقي. تحمل أكياساً بيديها الاثنتين. وقفت تحدق في العجوز دقائق وهي ملتصقة بالحائط. لم تتحرك. لم تفعل أي شيء. شعرت أنها تراقبني عبر عين البومة الإلكترونية. التفتت العجوز. وضعت الأكياس على الأرض. اتجهت نحو اليمين. غابت في طرف الشاشة. وصلت المقطوعة الموسيقية إلى جزء "روبريك". رجعت الفتاة القصيرة إلى الشاشة ويمشي خلفها رجل غريب. لا. رأيته من قبل. أوه. جاري. الدراج. مدت الفتاة يدها اليمنى وانتشلت بندقية الصيد. انتبهت العجوز. رفعت طولها من الأريكة وانتبهت إلى الدراج الواقف خلف الأريكة. أمامها. يضع يديه خلف ظهره. استمرت المواجهة ثواني. تراجعت إلى الخلف. اصطدم ظهرها بالحائط. مرت الفتاة من أمامها. اتجهت نحو اليسار. بدا كأنها تعرف المكان جيداً. وقف الدراج أمامها. يتبين أنه يحمل عصاً طويلة. أقرب إلى عصا غولف أطول من المعتاد. رجعت الفتاة تحمل منشفة بيضاء طويلة. وضعتها على الأرض. كان بطولها تقريباً. اتجهت نحو

العجوز وجرتها من على الحائط. لفت المنشفة على جسمها مثل مومياء. أخرجت شريطاً لاصقاً من حقيبتها اليدوية. ألصقت نهايات المنشفة من أجل ألا تقع على الأرض. بدت العجوز مثل طفل في حفاض يحيط بها من كل جانب. وقف الدراج أمامها. تحركت الفتاة لتعطيه بعض المساحة. باعد بين رجليه. نظر نحو اليسار يقيس المسافة بينه وبين الحفرة الوهمية. وضع يديه على عينيه كأنه يتقي الشمس. رفع المضرب إلى الأعلى. ثوانٍ. آمل أنها لم تكتشف أن الكاميرا موجهة نحو شقة العجوز. تحركت شفتاها قليلاً. أعتقد أنها تقول شيئاً ما. هوى الدراج بالمضرب على العجوز. وقعت على الأرض خلف الأريكة. كانت الفتاة تبحث عن زر إغلاق الستارة. أوقفت الموسيقا. شعرت بألم في صدري. وقف الدراج وهو ينظر خلف الأريكة. حرك جسده كأنه كان يركل شيئاً ما هناك. أغلقت الحاسوب. أكملت الفتاة القصيرة إغلاق الستارة. ماذا؟ هل رأيت للتو جريمة قتل؟

الفصل الثاني

لا لم يكن هيباكوشا
ربما كان أكثر من هذا...

I

توقف المفتاح عن الدوران. ربما نسي شيئاً ما في الداخل. محرك سيارة تقترب خلفه. وقبل أن يتبع وسواسه التفت بنصف حركة إلى اليسار. واجهه سياج جاره الخشبي. لا يريد أن يظهر باراونيته ببساطة. نظر إلى المفتاح في يده قبل أن يسقطه. تعرق باطن يده وشم رائحة غريبة. ابتسم بتكشيرة متوترة اهتزت لها أعلى شفته. نوع من رد غير مناسب على ما يشعر به. من ست وعشرين سنة لقي ديناراً معدنياً في الشارع أثناء مشيه نحو المدرسة. يبدو تعبيراً مناسباً من "يبحث عن الخردة في الأرض"، من يمشي مطأطئ الرأس، وينطبق عليه ببساطة. لم تعد العملات المعدنية تملك نفس القيمة الشرائية كما كانت في الثمانينيات بعد الانهيار الكبير في سنوات الحصار. قيّم وزنه داخل راحة يده. صنع قبضة مهددة. تعرقت راحة يده. نقل لون الدينار إلى الأسمر القذر. ما حصل يومذاك لا يعدو سوى تفاعل من نوع ما. فيزياء مبسطة. مرت السيارة خلفه. يقف أمام باب بيته. يعتقد أنه استسلم لفكرة أخرجها من قعر ما في رأسه. هل كانت متوقفة عندما خرج؟ ستكون لقطة غريبة. من المحزن أن تشعر أن ما يدور من حولنا له معنى ما. العالم يراقبك. أنت تمدح نفسك إن لم تكن تضحك منها في المقام الأول. من الممكن أن يكون محقاً لو كانت له حاسة زائدة. أن يملك عيناً متنورة مختبئة في رأسه بين بصيلات الشعر البني. دار حول قدمه اليسرى. واجه الشارع كأنه يحاول أن يفاجئ العالم. غطى الجهتين بشبه استدارة من رأسه. نظر نحو الأعلى بحركة آلية. رمادي شبه محروق المناخ. الشوارع فارغة لو كان فيلم الاوميغا مان. ربما هو يشعر بالأمل، الكثير منه. لم يتعلم بعد مراقبة الجو مثل باقي الأميركيين. المناخ أكثر جدية من أخبار الطقس في العراق، التي نادراً ما تصيب ولذا لا أحد يهتم بمتابعتها إن لم تكن المذيعة ترتدي بنطلوناً من الأنواع الملتصقة على الجلد. أعجبه مظهر كتلة أميبية في السماء. ضرع سيدر الأمطار الثقيلة. لكن للشوارع ثقوب وأنفاق تحت الإسفلت ستسحب كل ما ألقيَ على سطحها ولن يحس أي أحد بها بعد توقف المطر بدقائق. لم يستعد وعيه بعد. كل مرة يرى الناس والبنايات والسيارات. عليه أن يوبخ أذنه الداخلية: "لم تعد هناك". مثل أي طفل صغير لا يجيد الاستماع لكلام البالغين ينسى في كل مرة. تحول اسم مسقط رأسه إلى جملة واحدة في صفحة ماضيه. يمكنه أن ينساه تماماً ويلفق أي قصة ولن يشعر بالغربة في هذا. العراق حافة العالم. قلبه المظلم. الآن في العالم الجديد. الدولة-القارة. دع عنك أرض المقابر خلفك. نيويورك. اسمها يوحي

بالجدة. حاول تنفس الهواء قليلاً، الذي مس جبهته مثل قطرات من العرق. رائحة باقة ورد من نوع ما. سمع من أحد الأميركيين أن لنيويورك رائحة مثل البراز. لم يفهم بما عناه بكلمة "شت" إن لم يكن الفضلات البشرية. لا أعتقد أنه كان محقاً. رغم أنه ربما يقصد نيويورك العاصمة. لا يعرف البعض أنها كانت عاصمة الولايات المتحدة قبل ولاية واشنطن القريبة منها. اسم الجنرال الأميركي كان الاختيار الثاني. اختير لها في البداية اسم نيو روما الذي استمر لعام واحد. تواصل مع ثالث أميركية تحدث معها بعد وصوله إلى الولايات المتحدة. بعد أن حطت طائرته في مطار اللاكس في لوس أنجلوس. سألته امرأة سوداء ترتدي نظارة طبية بإطار أحمر بعد أن عرفت نفسها أنها مندوبة من إدارة شؤون الأقليات في وزارة الخارجية الأميركية. لم يكن يعرف كيف يجيب. أي ولاية سيختار. يعرف نيويورك ولوس أنجلوس من الأفلام. من أحاديث الجنود. حاولت مساعدته حين أعطته خريطة الولايات المتحدة. انحنت قليلاً. رفعت حقيبة سامسونايت سوداء. وضعتها على سطح المكتب. عبثت قليلاً في القفل لتخرج من الداخل ورقة مطوية بحجم الكف. ابتسمت قليلاً من خلف نظارتها. استشارت ساعتها. طلبت منه أن يختار أي مدينة ضمن ثلاث ولايات: نيويورك وميشيغان وميزوري. أراد أن يرسم علامة استفهام وأن يوقفها عند تلك النقطة. لكن لم يقل شيئاً. ربما ستطرده من هناك لو عبّر عن امتعاضه. لم يكن درس أي شيء أو يعرف ماذا ينتظره هناك. نظرت إلى ساعتها مرة أخرى. فهم الرسالة وأن عليه أن يقرر خلال خمس ثوانٍ. خرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها بهدوء وسرعان ما رجعت وهي تحمل كوب قهوة تركية وكولا باردة. ناولته الكولا.

- تعرف سيد كاديم درست الاوربانولوجيا في جامعة جورج واشنطن لبعض الوقت وكانت أطروحتي عن تاريخ تكون المدن الأولى على الأراضي الأميركية بعد فتح كولومبس.

وضعت قلم الحبر على المنضدة لترى أنها وضعته على الحافة. بعدها حركته من مكانه ووضعته مرة أخرى على بعد إنشات من يدها اليسرى. لا أعرف ماذا حصل لكن القلم تدحرج ووقع في حضنه. التقطه وعندما ناولها له أوقفته بيده اليسرى.

- على أي حال ما عرفته من أوراقك أنك قدمت من... مقاطعة بابل في العراق أليس ذلك صحيحاً؟

- تاريخياً تلك المنطقة تدعى بابيلون لكن الاسم في السجلات الرسمية بابل بحرف أي قبل حرف الال...

- أوكي سيد كاديم. هل تعرف أنه هنا توجد مدينة تدعى أيضاً بابل. نعم هنا في ولاية نيويورك. التفاحة الكبيرة. هل تعرف هذا؟

- لا. سيدتي. لم أكن أعرف. يبدو لي عالماً صغيراً.

- نحاول أن نجعله قرية. لكنه لا يزال كوكباً في آخر مرة تفحصته.

غمزته بعينها اليسرى ولكنه لم يفهم ما كانت تقصد.

- إذن سيد كاديم ماذا سيكون اختيارك؟

تحرك حاجبها. لم يفهم وجهها. هل هو ساخر، متألم، حازم، عاطفي؟ لمح البطاقات الثلاث التي سترافقه في حياته الجديدة في العالم الجديد. لم لا. لم يفكر كثيراً.

- تعال إلى هنا!

- كيف؟

لتهتز المنضدة كأنها رئة رجع الهواء بها. أعتقد أن الأرض اهتزت ثانية واحدة ولذا وضع يده على المنضدة. لم يرَ اقترابها بيدين مفتوحتين من أجل عناق مجاني.

أنت الآن رجل جديد سيد كاديم. بلد الولادة مثل رحم. أنت الآن رجل بالغ. افرد أجنحتك.

- ؟

- الذكريات الحبل السري لتلك الأرض التي نسيها الله...

فتحت حقيبتها وأخرجت ورقة تحمل شعاراً أحمر في أعلى الورقة.

- وقع اسمك في الجزء المنقط. أها. نعم هنا. حسناً يا سيد كاديم. أهلاً بك على متن السفينة.

- شكراً لك، سيدة.

- ووترز.

- أوكي. تشرفت بمعرفتك سيدة ووترز. ممتن لك كثيراً.

- سأمر عليك بعد شهرين من الآن. هذا صكك الأول. ستكون ستمئة دولار كافية لك. هذه البطاقات. الفود ستامب. السكن.

- شكراً لك سيدة ووترز. أقدر ذلك.

وضع البطاقات داخل جيبه. تجاوز العديد من شاكلته في الممر. هرع إلى مصعد. بعد أن انسحب من تدفق بشري أكمل معاملاته أمل أنهم لا يرونه. بدا أنه يعرف ماذا يعني هذا؟ وقف أمام رجل كبير من السن. له بشرة شمعية لامعة مع لطخات من اللون الأحمر فوق شفتيه وجبينه. عرف أن العديد من هؤلاء هم من الأكراد والبولنديين والمكسيكيين. يضع عصا وسط قدميه كأنها رجل ثالثة

له. وقف بجانبه وهو يحدق فيه. لا يعرف لم شعر أنه يكرهه. رجع ينظر إلى الأرقام المضيئة في الجدار. لدى الجميع نفس السبب. يتركون بلدان ولادتهم. شعر أنه يسخر منهم إن لم يبدِ بعض الرغبة في سحقهم كأنه يرتدي حذاء بكبر ناطحة سحاب لمجموعة من النمل. ركض خارجاً من المبنى الفيدرالي حين اكتشف أنه يطل على الشارع الفارغ. دائرة الهجرة هي فرع صغير اتخذ مؤقتاً في زقاق فارغ في حي سكني. مشى وحده في الشارع. سمع حواراً خلفه. التفت إلى الخلف. امرأة تجر خلفها عجوزاً ترتدي الحجاب بصورة غريبة. سمعهم يتكلمون العربية بلكنة عراقية واضحة. دق جرس الهرب في رأسه. تحركت قدمه بشبه استعجال وبرر لنفسه أنه عليه الابتعاد عن تجمعات العراقيين كأنه يهرب من وباء. نظر إلى سلة نفايات مبعثرة على الإسفلت. حيوان الراكون يعبث بالمحتويات عندما أحس بهبة ريح باردة طيّرت صحيفة من بين مخالب الحيوان. وقعت على زجاج سيارة فورد مركونة. صرخ جهاز تنبيه السيارة. وقف ونظر نحو المشهد كأنه له قيمة سينمائية ما. أحس بالغباء من وقوفه هنا. ربما سيعتقدون أنه يسرق السيارة. وضع يده في جيب بنطلونه متناسياً أنها أكثر حركة مشبوهة في التاريخ. كأنه يقول لهم إن عليهم القبض عليه ببساطة. خرج من الزقاق الفارغ الذي بدا أنه من ديكور فيلم حول نهاية العالم ونظر إلى نهاية الشارع الذي تبدو السيارات المتحركة في نهايته مثل شريط إخباري لقناة. سيارة بيتل باص مركونة بالقرب من عمود الإنارة المحطم. سمع رجلاً يشتم. نباح. التفت إلى الشارع خلفه. رأى المرأة الشابة توقع العجوز على الأرض.

- ارحل من هنا. أيها الهجين اللعين.

لمح مخلوقاً صغيراً خرج من تحت سيارة. ركض خلفه رجل يرتدي معطفاً طويلاً مفتوحاً من المنتصف. حليق الشعر. وجه أحمر. لحية حمراء. توقع أن يملك بعض اللكنة في حرف الاس...

- الحيوان اللعين. أكل غدائي كله. هل تتوقع هذا؟

لم يتوقع أنه يتحدث معه. الشارع فارغ. حمرته اللامعة نوعاً ما تتجه نحوه.

- كيف حالك؟

- بخير. هل تتحدث معي؟

- آمل هذا، وألا أكون مصاباً بالفصام. آمل ألا يكون الكلب لك. هل هو...

- لا. لا. ليس لي. كنت أمر من هنا.

- جيد. أكره الكلاب. نعم. أكره الأطفا...

شعر بالخجل ولم يكمل جملته. تعرف إلى مهنته. أحد البائعين غير القانونيين. دائماً ما يكونون شخصيات غريبة. ويؤمنون بأشياء أغرب.

- أنا جون ديكارد. أصدقائي يطلقون عليّ اسم بلايد رانر.

- أنت تمزح؟

- لا.

مد يده الموشومة له. بدت ناعمة نوعاً ما.

- يمكنني أن أثير اهتمامك بشيء ما. يبدو لي أنك تقدر بعض الأناقة. مهلاً لحظة. أوه. اعتقدت أنها سيارة الباندا. أوكي. تعال معي إلى هنا. أوه. آسف لأنني شددتك هكذا. ستكون مثلي لو كنت تعمل في مهنتي.

فتح الباب السلايد في البيتل. يضع أرففاً صغيرة. صناديق مفتوحة. ساعات. أجهزة هاتف محمول. ووكي تولكي. بنادق صيد. عدد يدوية...

- افتح يا سمسم. ماذا سيكون إذن.

- ماذا؟

- هل وجدت ما يثير اهتمامك؟

- ما هذا؟

- أوه. نعم. لا أعتقد أنها للبيع.

بومب اكشن حمراء. مصبوغة باللون الأحمر. يلصق فوقها فلاش لايت. مليئة بشعارات نازية: الاس اس.

- إنها لشقيقي. اللعين. تركها هنا لأنه لا يستطيع أن يواجه صديقته. المخنث. ما الذي يدفع أبيض نقياً مثله إلى مرافقة اليهود؟

- ماذا؟

- لا أمانع إن كنت يهودياً. أنت الآن زبون محتمل. آمل هذا.

- لا.

- ماذا أنت؟ إذن. هاري كريشنا.

- ما هو هاري كريشنا.

- ديانة هوليوودية جديدة. لا أعرف حقاً. آسف. لا يهمني. هل تسكن هنا. لم أرك في الجوار. لا لا تجب. أملك فضولاً لا يضع الطعام على المائدة ...

- ما سعر هذه الساعة؟

- جميل. إنها باتيك فيليب. لأنني أعجبت بك سأبيعك إياها بخمسة وأربعين دولاراً. لا تقل لأي أحد.

- أوكي. سآخذها منك وهذا القاموس أيضاً.

- اهو. اللعنة. إنه. تعرف شيئاً. خذه. ربما على أحدهم أن يلقنه درساً. إنه لشقيقي اللعين محب اليهود.

- هل ستكون هنا دائماً؟

- حسب.

- حسب ماذا؟

- العم سام يا رجل. لم تسأل؟

- ربما قد أحتاج مساعدة.

- هاليلويا. هاك بطاقتي.

- أوكي.

- اتصل بي في كل الأوقات. لكن. أول مرة أرسل رسالة. مهلاً. لا. اتصل أفضل لأنه لدي عسر في القراءة. لا. لدي بُعد نظر تافه. سأكون هنا. بعض الأوقات. نعم...

تركه يشتم من جديد. آمل أنه لا يقصده هو...

II

يقع موقع القرية على الشاطئ الجنوبي لولاية نيويورك. تُعدّ الأقرب إلى المحيط الأطلسي. تم شراء هذه المنطقة من هنود السومبوام سنة 1670. أطلق عليها في البداية ساوث هنتنغتون. كانت معروفة للمزارعين القادمين من هنتنغتون من أجل جمع "الملح"، حيث يقضون الليلة للمبيت والإطعام لماشيتهم. وكانت تعتبر محطة توقف للمسافرين المتجهين نحو ساوثمبتون التي كانت تستغرق في الأيام العادية ثلاثة أيام. لذا خلقت الحاجة إلى بناء العديد من المتاجر والفنادق وتم رصف الشوارع بالحجر الصلب. الخليج يزخر بالمحار والسمك الأزرق المعروف باستخدامه في المطبخ الأميركي. ويستخدم أيضاً كطعم من أجل اصطياد سمك القرش والتونا. عبر الهجرات المتعاقبة من الشمال وضعت بعض القوة البشرية لمعامل الحبوب والخشب والورق. وبحلول 1800 أصبحت بابل أحد المراكز النشطة على الخليج. توقع ناثانيل كونكلن وهو أحد مؤسسي المدينة أنها ستصبح مدينة مزدهرة ولذا بنى منزل والدته في الركن الشمالي الشرقي من الشارع الرئيسي وجادة متنزه دير في 1803. تقول الأسطورة إن السيدة كونكلن والدة ناثانيل كانت غير راضية عن منزلها. أيضاً اعتادت أن تقول من خلفية دينية إنها تسكن في عاهرة المدن، نيويورك. يقف المنزل الآن على الجانب الشمالي الغربي من جادة متنزه بارك بعد أن نقل هناك عام 1871. يقف حجر الزاوية أمام المنزل الذي كتب عليه "بابل الجديدة". وبعد وصول خط سكة الحديد عام 1867 تحولت المنطقة إلى منتجعات مزدهرة. عام 1871 تغير اسمها من ساوث هنتنغتون إلى بابل مع مجلس الإدارة. الحكومة المحلية تأسست عام 1893.

سكن في هذا المكان بعدما حمل للمالكة الحالية كتاب توصية من مكتب الهجرة. أخذ رقم هاتفها من أحد الجيران. لم يعرف أنها موظفة في مكتب الإسكان التابع للجيش الأميركي والبيت أو كما أطلق عليه مشروع سكني يرجع صك ملكيته إلى الحكومة الفيدرالية بعد أن هرب مالكه إلى فنزويلا في قضية فساد في التسعينيات ولذا اشترت الحكومة دينه من الحكومة المحلية واستخدمت البيوت التي بناها من أجل مشروعه مع اليابان وإسكان بعض الموظفين من شركة تويوتا هناك. انتظرها أمام البيت. وصلت بعد 47 دقيقة وهي تعتذر منه لأنها تسكن على بعد أربع ساعات قيادة. سلمت عليه بود مستعجل. أخبرته أنها تستغرب أن يختار هذه المدينة المغمورة من دون كل المدن الكبرى في الولايات المتحدة. عرف أن العراقيين يتركزون كثيراً في شيكاغو وميشيغان وتكساس. لم تنتظر

إجابته وكان المدى الحيوي للطفها لا يتجاوز ثواني. سلمته سند الإيجار. وقع عليه. خربشت فوقه بعجالة. تركته على المنضدة بجانب خريطة القرية. ركضت نوعاً ما إلى الباب مع ابتسامة وداع جلية على شفتيها. لم يأخذ الأمر سوى دقائق. سلمته المفتاح. غادرت إلى الأبد. البيت صغير كأنه مربع من الخشب. قريب من ملكية أكبر منه. ربما كان تابعاً له في ما مضى. مطبخ صغير. غرفة نوم واحدة وممر قصير يربط غرفة النوم بالحمام. مع غرفة مكتب أو ستوديو مظلم صغير يقع في الزاوية بين الباب الخارجي والنافذة التي تطل على بقعة الحديقة العشبية. منضدة و"ستول" ورف كتب فارغة ملتصقة على الحائط. يحوي المطبخ ثلاجة عشرة أقدام نوع كينوود. حوض غسيل قذر مع الكاونتر يفتقد إلى الواجهات الزجاجية. مليء بعدد من الأقداح والصحون البلاستيكية. يشبه البيوت المبنية في مدينة الاموغوردو في نيو مكسيكو أثناء اختبار القنبلة الذرية. ملئت بالمانيكانات لمعرفة تأثير القنبلة في الحضارة. الأرض مغطاة بسجادة غريبة تشبه رقعة شطرنج بمربعاتها الأبيض والأسود. فكر في نوع السخرية الغريبة. اعتاد أن يكون بيدقاً. اعتاد معرفة هذا. لكن الآن. الحرية. ماذا يمكن أن يخرج منها بعد أن شعر للمرة الأخيرة من حياته أنه غير مهم. لا شيء. ولن يكون أمام أي أحد فرصة أن يعالج هذا. استمر اكتشافه للبيت دقائق. خرج بلائحة بالعديد من الأشياء التي يود أن يفعلها. بدا أنه كان يفكر في استبقاء السيدة بعض الوقت لأنه أعجب بوجهها أمومياً. يمكنه أن يقبلها ولن تعتبر الأمر نوعاً من التحرش. يحاول التعبير عن شيء ما. يود أن يقول إنه كان في يسكن في مكان يدعى بابل. أسماء الشوارع تحمل أسماء قتلى لا أحد يعرفهم. الشوارع الكبرى لها أسماء عربية هاربة من فيلم "الرسالة". أشهر فيلم إسلامي له شعبية كبيرة هناك. لا أعرف تاريخ المدينة التي ولدت فيها كأنها خرجت من الخريطة بسكانها ومشكلاتها وقتلاها وبمقابرها، مثل قمامة مبعثرة على الأرض التي يتقزز منها حتى اندي وارهول الذي اعتاد استلال الجمال من كل شيء وهو الذي يشم رائحة الأرواح.

استشار وجه الساعة. لم يحن وقت رجوع الموظفين من أعمالهم. الخامسة عصراً هو وقت نهاية العمل. خرج من باب المطبخ. تجاوز الحديقة الفارغة. قضى ببضع خطوات نحو باب الحديقة المتهالك. توقف حيث العديد من الثمار البنفسجية لشجرة ويستيريا فوق مربعات الرصيف، التي لمحها في كل مكان. الشجرة الملونة تبدو كأنها خارجة من لوحة صينية. كل صورة فوتوغرافية لها تمنحها نوعاً من الاصطناع والمبالغة الرقمية. تصفح ما يحيط به. علامة شارع. عمود إنارة داخله عش فارغ. قطة بفرو ثلجي عبرت للتو السياج الخشبي لبيت مجاور. نظرت نحوه بفضول. ضوء انتصاف النهار ينحت كل شيء. الشوارع مزدحمة بالمربعات والأشجار. لا أحد يمشي فيها. المشهد

غريب ويرميك نحو شعور بالعزلة إن لم تفاجئه بالذعر مسبقاً. حاول كنس الوساوس من رأسه. أخرج الخريطة. حدد اسم الشارع الذي يسكن فيه بعلامة الكنوز التقليدية من أجل طريق الرجوع إلى البيت. أغلق باب الحديقة خلفه. أخذ زقاق سيدار كأنه داخل غابة حيث تحفه الأشجار من الجانبين بالقرب من الخليج. فكر أن يتذوق الكعكة الأميركية التقليدية على الشاطئ. يتمعن في البنايات من كل جانب. النوافذ المضيئة مثل فنارات. أسقف زكزاكية. أشبه بسفن ضخمة مربوطة بموانئ. التفت يميناً نحو شارع ريد الذي يتفرع نحو شارع ثومبسون. انتبه إلى الطرازات المعمارية. توقف أمام بيت كبير له نهاية مثلثة ونافذة مربعة في الوسط. نفس طراز البيت الذي كان الجميع يرسمه في درس الفنية لأنه سهل من جهة وبسبب سيطرة الهندسة الغربية على خيال الأطفال لما كنا نشاهده في أفلام الكارتون. سأله المشرف التربوي في الصف الثاني الذي كان يزورهم. ماذا يريد أن يصبح في المستقبل؟ تراوحت أجوبة التلاميذ من الضابط إلى المدرس إلى الطبيب. أما إجابته، فكانت أنه يريد أن يصبح مهندساً، مهندساً معمارياً. ربما عرف للتو سبب اختياره تلك المهنة بعينها. البيت الذي تربى فيه سنوات عدة. كان ضيقاً بما فيه الكفاية لكي يشعر الجميع بمن يسكن فيه بـ"حمى العزلة". تتزاحم فيه الفئران والصراصر. رغب أن يصبح مهندساً. استمر هذا الحلم سنوات. آخر مرة أجاب فيها عن نفس السؤال لرجل يعمل محصلاً في الباص قبل تركه الدراسة هو أنه يريد أن يصبح مصلح تلفزيونات. ضحك من تذبذب وظيفته الخيالية. لم يكن يعرف ما يريد. لم يكن الوحيد في هذا. عدة ملايين من البشر. العراقيون في تلك الفترة جل همهم هو أن يأكلوا أكلة دسمة. كباب أو قوزي بالبرياني. هذا فقط. لا يهم كيف حصلت على المال ما دام الجميع يصلي في الأوقات الخمسة. فترة حالكة مر بها الجميع. مثل زقاق مظلم تتمشى فيه قبل أن تصل إلى الشارع العام، ليطول هذا الزقاق أكثر من عقد، لنصاب بعدها بالجنون ونحن نقف على أبواب الخروج.

تفرع الشارع إلى اتجاهين. فاير ايلاند وكريسنت ليأخذ طريق كريسنت ليربطه بزقاق سيدار مرة أخرى الذي التف عائداً نحوه. تتجاوزه السيارات بسرعة عادية. يشاهد السائقين بوجوههم البيضاء والسوداء. تنتبه إليه الناس بنوع من اللامبالاة. تتعامل نظراتهم معه على أنه سائح بخريطته وطريقة مشيه المتهادية. هبت عليه هبة هواء رطبة لترمي الخريطة من يده. التصقت بظهر ولد يركب الدراجة الهوائية مصادفة حين كان يمر من خلفه. توقف الولد. خلع قبعة الحماية الملونة. التفت نحوه. رفع يده خلف كتفه. أراد أن يرمي الورقة على الأرض ليوقفه.

- يا ولد.

- ماذا؟

- آسف. إنها خريطتي. أسقطتها الريح باتجاهك.

- لا يهم.

- شكراً لك.

- عليك ألا تكثر من أكل الزبدة.

- آسف؟ ماذا تقصد؟

- حتى لا تتحول أصابعك إلى أصابع الزبدة هههههاي.

يخبره الولد عن رأيه فيه. غبي. بطريقة غير مباشرة. سمع ضحكته وهو يبتعد بسرعة عبر الشارع. هو الولد الوحيد الموجود في الشارع. ربما كان هارباً من المدرسة. تنفس الرائحة الرطبة بملء خياشيمه. خمن أنه وصل إلى الخليج. اقترب من محل دونات كبير. يقف جاذباً للأنظار. بناء مستطيل مليء بالنوافذ الزجاجية مثل شاشات بلازما تعرض قرص الشمس. أشبه بقطعة ليغو ضخمة مقلوبة على رأسها. أراد أن يعبر الشارع عندما توقفت شاحنة ضخمة لها وجه كلب يرتدي نظارة شمسية. لن يتعجب إن انقلبت السيارة وتحولت إلى اوبتيموس برايم في فيلم الترانفورمرز. يرتدي السائق تي شيرت قصيراً عليه لوغو فرقة "لنكن بارك". شورت يخرج سيقاناً بيضاء ملساء مثل قدمي لعبة ناطقة من البطن. عبر الشارع خلفه. بعد أن حصلت انفراجة في الزحام. اتجه نحو الواجهة الزجاجية. يقف عدد قليل من الزبائن. أطلق جرساً عندما عبر الباب. خرجت من خلف الكاونتر امرأة شقراء بوجه محمص بالنمش. ترتدي مريلة مزينة بعدد من الحلقات الملونة. حدقت فيه ثانية واحدة وأخرجت قلم رصاص من خلف أذنها.

- هل أساعدك؟

- كنت أفكر في...

قاطعته. تنطق الكلام بسرعة غريبة. يعرف أن الإسبان، الفرنسيين فقط، من يتكلمون بمثل هذه الطلاقة.

- هل أستطيع أن أثير اهتمامك بعدد من الخيارات من أجل عيد الدونتز القريب؟

- لا أعرف بهذا الشأن. كنت أفكر في علبة دنكن دونتز.

بدت خائفة نوعاً ما.

العلبة بالجلي بأربعة عشر دولاراً وقهوة اسبريسو بدولار وأربعين سنتاً.

- أوكي. أعطني علبة واحدة وقبعة مثل هذه.

- ماذا تريد مكتوباً عليها؟

- عفواً.

- القبعة. نملك الكثير من شعار الشركة.

- أوكي. فاجئيني.

قبعة مكتوب عليها: "رحلة عمل بخمسين سنتاً". أراد أن يسألها كيف يستبدلها لكنها صرخت في وجهه.

- التالي.

أخذ العلبة مع كوب القهوة الورقي وخرج من البناء. ابتعد عن الباب من أجل رجل عجوز يقرأ في صحيفة وبدا كأنه يمشي من دون وعي. توقف بالقرب من صندوق بيع صحيفة نيويورك تايمز. أخرج الخريطة من جيبه. تمعن في اسم بناء بالقرب من وقوفه. عبر الشارع. توقفت سيارة قبل أن ترتطم به. قبل أن يهتم ويصرخ به: راقب طريقك. لمح لافتة مكتوب عليها بابيلون بيتش هاوس. خمن أن هناك شاطئاً رملياً، كما يعني الاسم. مناسب لمن يريد أن يرى البحر لأول مرة في حياته، أن يفك "جبسته" السحرية. عبر الشارع. وصل إلى صف من البنايات التي تشبه قطع دومينو عملاقة التي نجحت في رفع رأسه إلى أعلى نقطة تقبل بها رقبته. عبر طريق نادي اليخوت رقم 35. أخذ طريقاً إسفلتياً ضيقاً يحيط به سياج خشبي من الجانبين. وصل إلى المنتصف عندما وجد أن الطريق الإسفلتي ينتهي بشريط رملي يأخذ الطريق الضيق إلى الشاطئ. ليس كبيراً نوعاً ما. مساحة بين نصف كيلومتر أو أكثر. لكن هذا لم يمنعه من استنشاق صفعات هواء البحر الباردة لأول مرة في حياته. أدرك الآن هوس جون مردوك في فيلم دارك سيتي. السجادة الزرقاء التي تبدو كأنها لا تنتهي أبداً. تجعلك تشعر بنوع من العزلة المشروطة، غير المرضية، التي تجعلك داخل صندوق رأسك بحثاً عن السكينة التي هي أرق من جلد البالون. خلع حذاءه. وضعه بالقرب من السياج الخشبي الأبيض. لمس الرمل لأول مرة. ملمس دغدغة لطيفة عالقة تحت راحة قدميه.

انتبه إلى زوجين يلعبان الفريزبي بالقرب من البحر. فتاة شقراء ترتدي مايوهاً أسود ولها بشرة ذهبية مع جسد يلائم الكاتووك. يركض كلبها معها. نوع الكيزهوند الهولندي. مخلوق صغير البنية له جسم مغطى بالوبر الأسود والرمادي. يقال أن الكلب من أصول ألمانية وأقرب نوع إليه هو السبيتزس. كان يدعى سابقاً الفولفسبيتز وسمي باسمه الحالي في بريطانيا عام 1926. يختار البعض هذه الفصيلة لأنها أكثر صحة وأكثر مناعة من بعض الأمراض التي تصاب بها باقي الفصائل. تعثرت الفتاة بشيء ما على الشاطئ. رمى الزوجان الآخران قرص الفريزبي بالقرب من السياج

الخشبي ونبح الكلب مرات عدة وهو يركض لإحضاره. وقعت الشقراء على الأرض. في نفس اللحظة، علق الكلب بنهاية السياج الذي على شكل صليب معقوف. يهدر بصوت قريب من حيوان الفظّ في موسم التزاوج. قامت الشقراء من كبوتها وهي تنثر الرمل العالق فوق بطنها الأملس. ترك الوكيل علبة الدونات بجانب الحذاء. سبقها نحو الكلب العالق في السياج. علقت قائمته الخلفية بمسمار صدئ ناتئ من قطعة خشب مبرقشة باللون الرمادي والأصفر. لمس رأس الكلب. أحاط به من أجل أن يوقف حركته حتى لا تزيد جرحه. يتكلم معه بنوع من اللنغوا فرانكا. كلمات تراوحت بين العربية والإنكليزية. اعتقد أنها ستهدئ من أنينه. سحب قدمه الملتصقة بقطعة الخشب برفق. اقتربت منه الموديل ولمست رأسه من الخلف. نظرت نحوه بعينين رطبتين. نظر إليها متسائلاً. وافقت بحركة من الذقن. أخرج قطعة الخشب من ساقه بسرعة. صرخ الحيوان بصوت مزيج بين الصرير والأنين. فوجئ الوكيل بعينيه الشبيهتين بزر معطف. خط يجري تحتها. لم يعرف أن الكلاب تبكي، أم كان هناك نوع من الدماء اختلطت بلون الوبر. عانقت الشقراء الكلب مثل أم تحيط بابنها من أجل رضاعته. تهدهده بكلمات أشبه بأغنية أطفال. رجع إلى الخلف خطوات عدة. ترك الزوجان يمارسان لعبة رجوعهما إلى بعضهما بعضاً. اتجه نحو السياج الخشبي. غادر الشاطئ من أجل بقعة معزولة. أراد أن يبكي وحده. لا يعرف من أين أتت كل هذه الطاقة؟ مسح عينيه بساعده. هذه الحركة واحدة من أكثر الحركات الطفولية العالقة به. فوجئت بوجود الشقراء أمامه وعلى يديها النحيلتين قطرات من الدم.

- هل أنت بخير؟

- عفواً؟

- أعني. لقد غادرت فجأة. اعتقدت بأنك قد جرحت أو ما شابه؟

- لا. أنا بخير. أنا فقط...

- نعم. أعتقد أنني خمنت هذا؟

- ماذا تقصدين؟

- فوجئت ببكاء الكلب. أليس هذا صحيحاً؟ أوكي. إنها كائن من لحم ودم. البكاء لغة طبيعية نتشارك فيها بيولوجياً مع كل كائن حي على الأرض. تلمع العيون. الروح. بالمناسبة. أنا ماغي سانت كلير.

- إذن. كيف حال؟

- كيف حالها؟ إنها هي. واحدة من ألبستي التي أتسكع معها. اسمها. اسمها فريدا. تعرف شيئاً. يمكنني القول إنني أعرف كل شيء عن الكلاب. أعرف ماذا تريد عبر الإشارات الجسدية. أوكي. وكيف عرفت هذا؟ من المراقبة. كما يقال. راقب وتعلم. لهذا عرفت أنك؟

- ماذا؟

- لا أعرف يا رجل. التقيت بك للتو. كنت على وشك قول شيء حميمي. نوعاً ما. الأمر غريب حقاً. أعتقد أن الأمر بخصوص فريدا. ربما هي السبب في هذا. على ما أعتقد. على أي حال، يبدو أنك نجحت؟

- في أي شيء؟

- أنت من محبي الكلاب. كنت تتعامل مع فريدا بكل جنتلمانية. لم تتحمل ألمها ودموعها. لذا بكيت. أنا أتحدث بالبدهيات. هيا يا رجل

- لا أعرف بهذا الشأن؟ قدمت من مكان بعيد. لا يمكنك أن تتخيلي كيف يتم التعامل مع الإنسان ناهيك بالحيوانات. لا أعرف على ماذا بكيت؟ لكنني واثق من شيء واحد...

قاطعته بسرعة.

- من أين أنت. صربيا؟

- صربيا.

- لم أرد أن أبدو عنصرية. لكن لديك تلك اللكنة في لفظ الكلمات وخمنت أنك ربما من أوروبا الشرقية. هل أنا محقة؟

- العراق.

- ماذا تقول؟

- أنا من العراق.

- إيراك. مخلعة للعين. اسم غريب. تشرفت بمعرفتك. أين تقع هذه؟ في أوكلاهوما؟

- أوه. لا. ألا تذكرين الحرب؟

- أوه. يا إلهي! وادي البكاء. وادي البكاء. آسفة على هذا.

- لا تقلقي من هذا الشأن.

ناداها رجل مفتول العضلات يحمل سلة غريبة يتمشى بالقرب من الموج. يتحدث على هاتف محمول.

- أتنزه هنا في العطل الأسبوعية مع صديقي جوني. هو من يناديني الآن. أهلاً بك في الولايات المتحدة. فرصة سعيدة بالتعرف إليك. أنت لست في تكساس بعد الآن. آمل أن تعيش حياتك الآن وتصنع تجارب أخرى. ذكريات مفرحة.

- لقد أخبرتك للتو. أنا من العراق.

- تعبير مجازي. إذا أردت أن تتحدث مع شخص ما. أعدك ألا أبكيك مثل الآن. وعد الكشافة.

وضعت يدها فوق صدرها. توقف صديقها عن الاتصال. نظر باتجاه الوكيل. ركضت الفتاة الشقراء بخطوات رشيقة. انحنت على الأرض بجانب السلة. تركهم. رجع نحو علبة الدونات. نحو البحر. الحاجز السماوي في نهاية العالم. القوارب المتحركة. مثل ورق شجر مكبر. السطح الهادئ. مزيج من الحليب والماء. هل من الإحراج شرب القليل منه. ذكرى. لمس الماء. ذكره بملمس الدم. ناعم. حسي. كأنه ماء الرأس للطفل. نورمال سلاين هذا الكوكب. شيء ما يقترب نحوه من بعيد. كبير. هاجمه شعور بالضحالة. بدوار خيف. كأنه يقف على حافة. ربما يحتاج إلى فحص نظر لا غير.

III

عرق لامع على جبهته. ربما رأى حلماً ما. ترك آثاره في توتره مثل بقايا التبغ. غادر السرير. اتجه نحو الحمام. فتح الإضاءة. راقب انعكاسه على شاشة المرآة الفضية. شوه وجهه عندما مسح وفتح الباب الصغير لخزانة الأدوية. انتبه إلى صوت صرير بطيء الإيقاع. وقع شيء ما على الأرض. دق الباب. ارتبك. ما هذا؟ أراد أن يبحث عن الساعة التي تركها في السرير. لا ينتظر أي أحد. لم يتعرف إلى أي أحد سوى فتاة البكيني التي لم تتذكر أن تسأله عن اسمه. الساعة متوقفة على السادسة والنصف. توقف الباب عن الطرق. فتح الستارة. وجد أن الوقت تجاوز الظهر. شعر بالجوع. بحث عن علبة الدونات. لقي قطعتين أكلهما ولعق أصابعه واتجه إلى الحمام لغسل وجهه وأخرج الخريطة من جيب البنطلون الخلفي. ثمة باركات عدة يودّ أن يقضي فيها بعض الوقت لكنه تراجع عن ذلك وتذكر نفس البقعة على الشاطئ حيث كان المكان هادئاً لكي يسمع دقات الطبول في رأسه. فكر أن عليه أن يقرر الذهاب لإكمال كورسات تعلم اللغة الإنكليزية والبحث عن عمل. تجاوز هذه المنغصات وبدأ ارتداء ملابسه. خرج من الكوخ. أخذ نفس الطريق نحو شاطئ خليج بابل. خرج إلى الشارع وتنفس الهواء الذي تغلب عليه رائحة الإطارات والبيض الفاسد. لم ينتبه البارحة إلى هذه الرائحة. اليوم فعل. ما ينتابه هو نفس ندم البائع. عندما يغرق الإنسان نفسه في احتياج شيء ما وعندما يحصل عليه، يندم عليه مباشرة. لماذا؟ الرائحة قوية حين عرف الإجابة عن ذلك السؤال. الملح. كما يقال. الجوع هو ملح الطعام. من يريد شيئاً ما، فربما يحب هذه الرغبة لا مدى درجة احتياجه إليها. أراد أن يأتي إلى هنا وعمل بعض الشرور من أجل أن يترك تلك المدينة التي كلما تذكر اسمها شعر بصداع يكاد يهصر جمجمته. توقف عما يضايقه. تحرك يميناً حتى يشغل أفكاره بصوت ارتطام حذائه بالإسفلت. الساعة الحادية عشرة صباحاً والشارع فارغ عدا بعض الأولاد يلعبون البيسبول في حديقة أحد البيوت. أحد الأولاد السمر يتحدث مع فتاة شقراء تصبغ مقدمة شعرها باللون الأسود. تقليعة غريبة. عندما اقتربت منهم شاحنة النفايات وقفوا في منتصف الشارع. لم يقبلوا أن يبتعدوا عن أرجل عاملة البلدية. امرأة بدينة. ذات وجه حزين وقطعة من الشاش الأبيض تغطي عينها اليسرى. صرخت فيهم بحدة. لا أعرف. أغلب ما رآه أناس بدناء ممن تجاوزوا الثلاثين. ربما هذا العمر الذي تحس فيه بمدى عبث العالم التي تتمخض وسطه. العشرينات سن عمياء. الغرور وحده ما يدفع الجميع إلى التعاظم كأن الواحد يملك البنك الدولي أو

له قطع غيار ألمانية. يتوقف هذا الشعور تماماً عندما نتجاوز الثلاثين لنجد أنفسنا أرقاماً فقط ولا أحد يهتم بنا سوى من نراه في المرآة وبعض الأشخاص إذا استطعنا جمعهم. أما إذا كنا نملك المال الكافي، فسيبدو الجميع عمياً أمام أخطائنا. فقراء. لا. سيصبحون أبواقاً تعيد على مسامعنا ما نحاول طمسه في الذاكرة. الفقراء يدركون معنى الحياة لكن الأغنياء لا يعرفون سوى القشور. التمثيل والواجهات الخادعة هي ما تجعل فرز الحقيقة أكثر صعوبة. عبر الشارع ليجد أنه اقترب من محل الدونات البارحة ليسمع صراخ امرأة تقول لأحد ما: "هل أنت مجنون؟"

- ماذا. ماذا فعلت؟

- من يعطي الكلب قطع العظام. أشبه بإطعامه المسامير. اتركه وحده. من قال لك إنه جائع أو إنني لا أستطيع أن أشتري لكلبي بعض الطعام الجيد. غادر. أيتها التفاحة الحزينة. كيس الخراء المثير للشفقة.

- يا إلهي! آسف يا سيدة. كنت أحاول المساعدة. تعرفين شيئاً؟

يا يسوع المسيح. يبدو لي أنك تحتاجين إلى أكل هذا الطعام. القحبة المجنونة.

- أها. الآن تحكم علي. هذا ليس حقيقياً. في البداية تحاول قتل كلبي والآن لديك الشجاعة. واو! أنت عمل فني. نعم. صحيح. سايدي ثومبسون. أنت لا تكاد تمشي مثل الرجال العاديين. مصاص الأعضاء الذكرية.

- هل أنت جادة. يا إلهي سأغادر الآن.

- عليك هذا. نعم. إلى اللقاء. احصل على إيدز خاص بك.

سيارة مركونة داخلها طفل يبكي. رسم طوله على الزجاج المربع مثل ملعقة في حساء. لمح في المربع الثاني امرأة ترتدي حقيبة ظهر مع قبعة باناما عبرت الشارع خلفه. وصلت الآن بجانب كابينة تليفون. يرافقها كلب من نوع بلاك راشن ترير. توقفت. متيبسة كأنها رأت شبحاً يعبر الشارع. لم تحرك أي طرف من جسدها. متجمدة. فكر قليلاً في هذه الكلمة. فكر أنه عليه الالتفات، النظر من فوق كتفه. أعاد هذه الجملة على مسامعه. هل هذا معقول؟ أميركا كبيرة. تكاد تكون قارة. لم يقرر أي شيء. دخل إلى محل الحلويات واتجه نحو نفس العاملة. نباح كلب خلفه. لم يلتفت أيضاً. الآن هو متأكد أنها أتت خلفه. لا يريد أن يعترف بما يجري. لم يعجبه مدير المؤسسة عندما سمع النباح. حمل كتاب التعليمات بيد تحسباً إذا كان يحتاج إلى مساعدته. أوقف المرأة مع الكلب. أخبرها أنه من غير المسموح نسبة إلى لوائح مدينة نيويورك إدخال الكلب في مؤسسات تقدم الأكل. انظري. توجد لافتة. بجانب علامة افتح في الباب الزجاجي. رُسم كلبٌ داخل دائرة وفوقها علامة اكس.

- سأخرج حالاً. أبحث عن أحد ما.
- عفواً سيدتي. ارسني الكلب خارجاً وأنت مرحب بك هنا وحدك.
- اسمح لي لبضع ثوانٍ. رأيته يدخل إلى هنا؟
- لا يعجبني طريقة تصرفك. يبدو لي أنني سأضطر إلى إخبار الشرطة إذا لم تتعاوني.
- ماذا ستخبرهم، سيد ادغار لي هوفر، أنني سرقت المكان تحت تهديد السلاح؟
- جاك. اتصل بواحد واحد تسعة.
- أوكي أوكي. أنا خارجة الآن دون أن أنسى: تباً لقوانينكم الغبية. هيا يا بروتوس سنخرج من محل الغلوتين الغبي هذا.

لا تزال بعض الضجة في الخلفية. لم يلتفت إلى الخلف. حمل علبة الدونات ووضعها تحت إبطه. لم تصرخ العاملة. شغل نفسه وهو ينفض شيئاً ما في بنطلونه. رأى المدير يرجع إلى مكانه يتحدث إلى الهاتف. صرخت العاملة. هناك زبون ما خلفه.

- التالي.
- ست قطع دومينو وستة أكواب قهوة نسكافيه.

رجل بدين أصلع لم تمنعه قلة الشعر في رأسه من تسريحة البونيتيل الذي يتدلى على رقبته. خرج متوقعاً أن تهجم عليه من أي مكان. لم يجدها. أراد أن يرتاح ويتنفس ببطء. الشعور بالانزعاج لا تزال بقاياه ترقد داخله. ماذا تفعل هنا؟ آخر مرة سمع أنها تسكن في سان فران على بعد ولايات من هنا. هل هي؟ لا يمكن ذلك. لماذا تبحث عنه؟ لم هي بهذه الملابس المزرية. أشبه بمشردة. عابرة سبيل بين الولايات. ماذا حصل لتلك الصحافية من كريستان ساينس مونيتر؟ ما الذي جرى لها ليجعلها تطوف في الشوارع وتهاجم الجميع بهذا الأسلوب المتعالي. سمع صوت زمجرة قريبة منه. جفل. أوقع علبة الدونات على الأرض. سمع صوت الصحافية.

- تبحث عني؟

استمر في جمع قطع الدونات من الأرض. ترك واحدة على الأرض. عندما اقترب خطم الكلب يتشمم بقايا ماء السكر على الأرض رأى قطف سيجارة يحترق بالقرب من حذائه.

- شيبوليث.
- ماذا؟

رمت السيجارة على الأرض. رجل عجوز يمشي على عكازة واحدة. يتحدث مع هاتف الرسغ. يحدق نحوها بعيون ناقدة متوقعاً أن تلتقط السيجارة. جابهته. سألته: ماذا؟ تراجع عن محاولة قول

أي شيء. أنهى الاتصال. بحث عن سلة مهملات. لا يوجد أي واحدة في الجوار. اضطر إلى وضع علبة الدونات على المصطبة القريبة التي تظللها أغصان شجرة غريبة ذات أوراق حمراء دموية. أراد أن يسأل عن نوع هذه الشجرة. الزقوم. اعتقد أن السؤال غبي. ليس في محله. تراجع عن السؤال وجلس بجانب العلبة. تحدق نحوه متوقعة أن يختار من كل الأسئلة التي تتلون في وجهه واحداً ليبدأ الكونتليت. نوع من العقاب في القرون الوسطى. نادت كلبها بصفير قصير. جلس بهدوء عسكري. ظلت تنظر نحو كلبها بشفقة غريبة. جاوبها بخرير هادئ: ”أوكي. ماذا بحق الله تفعلين هنا؟“

- أسافر هنا وهناك. لا شيء جدي. لا أملك مكاناً ثابتاً. على خطى جاك كيرواك العظيم. لكن بطريقة أكثر حداثة. تعرف من هو جاك كيرواك؟ شاعر أميركي من البيت.

- البيت. ما البيت. لا أعتقد أن هذا مهم؟ لكن ماذا حدث لك؟

- زرت أقدم بيت هنا. بيت ناثانيل كونكلن. عليك أن ترى الأماكن الساحرة هنا. قد تستفيد شيئاً.

- سأفكر في هذا الأمر. سنجلس هنا أو نذهب إلى مكان آخر أو نضيع بمثل هذه الحوارات المضللة. هيا؟

- انظر إلى تلك البناية التي تشبه قاعة الديفاك التي جلسنا فيها قبل سنوات. هل تذكر حوارنا آخر مرة. يقع خلفها شاطئ جميل. منعزل. يمكننا أن نصرف بعض الوقت على الحوارات وتبادل المعلومات أو أي شيء. علينا أن نشرب نخب إرضاء الفضول.

- نعم. نعم. كنت هناك البارحة. أتفق معك في هذا الأمر. إنه بالفعل مكان جميل.

- ماذا ننتظر. لنذهب. بروتوس. هيا صديقي.

- اسم غريب حقاً.

- ماذا. بروتوس. اسم روماني. أوه. انظر إلى هذا الرجل.

لم يفهم إلى من تشير. استخدمت إصبعين اثنين. أحدهما له ظفر مزرق. ربما من أثر ضربة. نظر إلى الكلب الذي كان يلعق بحذائه. التفت خلف كتفه. أدار عينيه ببطء ماسحاً المارين. رجل يرمي مظلة وسط سلة النفايات. ربما هو من كانت تقصد. الجو غير ممطر. لا يعرف ما الذي قصدته بدحرجة صورة هذا الرجل وسط الحوار. شعر بنوع من الاختناق يفور داخله مثل قيء على وشك الانفجار.

- تعرف أن هذا الرجل رمى باقة زهور على سيارة متحركة. الأمر مضحك فعلاً. ربما تعرض إلى الهجر للتو. آمل أنها كاتفيش. توقف قلبي من الضحك.

- ماذا. لم أسمعها.

- ماذا. آه نعم، ذبلت في الداخل.

- ماذا حدث لك؟ كتابك. كيف انتهى بك إلى مثل هذه الحالة المزرية. أنا كنت أعتقد أن هذا من اختصاص المهاجرين. انتحار وظيفي أو أي شيء باسم غريب. لم أعرفك في البداية. طريقة هجومك على مدير الدنكن دونتس. العجوز المسكين الذي امتعض من منظر سيجارتك على الأرض. هيا سيدة مكارثي. ماذا حصل لك بحق ماركوس جونيوس بروتوس؟

ربتت على رأس الكلب. تحدق فيه بعيون متسعة. بدت كأنها تعرضت إلى لسعة قوية من الضوء. كأنها ترقم عضلات وجهه. ربما تريد أن تسد ثقوب وجهه السبعة بحفنة من الرمال.

- العديد من الأسئلة؟

- إذن.

- لا أعرف إذا كنت تملك الحق في ذلك. أو لدي الرغبة المناسبة في الإجابة عن كل ما قلت.

- ماذا نفعل هنا إذن؟

وقف الكلب فجأة. ينظر نحو شيء ما خلفهم. ربتت على رأسه. لا يزال يسمع بعض الخرخرة من خلف أسنانه. تفحص وجهها. شعرها القصير. وجهها المتعب. كأنها تحتاج إلى عدد من ساعات النوم. نظرات مدينة تحت هذه العيون المحتقنة. لم يعجبه الأمر. بدت كأنها تعرف شيئاً ما. ماذا يعني هذا الآن. المكان. نعم. تغير المكان.

- تعرف لم سميت الكلب بهذا الاسم؟

- هذا الوحش الأسود. أوه. ماذا كان؟

- تعرف. كانت لدي صديقة. أوه. نعم. مر زمن طويل آخر مرة تحدثنا فيها. ما حدث لزوجها هو الذي جعلني أرغب في الرحيل إلى العراق. لم يكن من السهل رؤيتهما معاً من دون قول أي شيء لها. ماذا كان يفعل من دون أن تعلم؟ المرايا والأدخنة. لذا أخذت الطريق الصعب. هربت من هنا. بروتوس، صديق عمي الوحيد، هو السبب. ألست أنت. الصديق الوحيد؟

مسحت على رأس الكلب. أخرجت منديلاً من جيبها ومسحت فمه. بدا أن الكلب ممتن لما تفعل.

- على أي حال، رجعت. بعد أن نجحت في الهرب من بلاد النهر المالح. هذه استعارة عن الموت. أوكي. لنمضِ قدماً. بعد أن غادرت القداس. موت عمي الوحيد بسرطان المخ. أشفقت على الكلب. أخذته معي. بمجرد أن أكمل القس السمين الذي يشبه سكروج ماكداك بشفتيه الكبيرتين. آمل أنه لم يتحرش بأي طفل. أكره هؤلاء الكاثوليك. بارك الله في سينيد اوكونور. هي ما دلتنا على العدو

الحقيقي. لا أعرف هل أحب الاستقرار. يعلم الله لا أحبه. تعرف ما مشكلته. التكرار. بمجرد أن تعتاد قذارته ستعتبره شيئاً جيداً. ترتاح إليه. مثل الصداقة. لا. لا أبحث عن أصدقاء. أعرف أنني بطة جالسة. طائر نورس. أوه. لدي جين ساذج يتحكم فيّ. لهذا أتوقع الخداع. إنه قادم. لا محالة. فقط انتظر. ها هو يدق الباب.

- ماذا تقولين؟ لا أعرف عن ماذا تتحدثين؟

- بروتوس. ارنولد بنيدكت. أنت؟

- مرة أخرى. لا أعرف عن ماذا تتحدثين؟

- عندما كنت صغيرة حدثت مجاعة في إثيوبيا. تذكرها؟ ربما كانت في منتصف الثمانينيات. نظم بعض المغنين. مثل مايكل جاكسون. ليونيل ريتشي. ستيفي وندر. أغنية "نحن العالم". أوف. كانت تحرك الأحاسيس. مثل خيوط ولعبة. كنت يومها في التاسعة. أحسست أن الأغنية موجهة إلي. ظننت أنني قد أكون شيئاً ما. الكلمات تبدو مثل عوالق. تعتاش على المشاعر. بعضها ناعم مثل توست أبيض. البعض الآخر صلب. مر. جارح. باقة أشواك. ابن العاهرة. لقد ساعدتك. أنت تعلم ما فعلت. لم يكفلك أي أحد. تحدثت مع الجميع. لم تكن مهماً لأي أحد. تافه صغير. نملة عمياء. اعتقدت أنك كنت مهماً. تؤدي دورك بلباقة. تمثل. تعرف. انطلى على الجميع. خدعت الحكومة الأميركية. بالفعل أنت المثال الوحيد لم على برنامج مثل أي أو أم أن يتوقف. ساعدنا مجرمين. بول بوت مثلك. قاتل متسلسل ابن قحبة مثلك.

- عليك أن تتوقفي عن الكلام. صوتك عالٍ. لست على المسرح. ديفا اللعينة. أنا أرحمك عندما أتحدث معك الآن. واجهي نفسك. أنت زومبي. لا بيت. لا رجل. لا عائلة. تعرفين شيئاً. جميع الأميركان هكذا. أنا مخدوع بكم. ماذا لو خدعتكم. أنتم تفعلون هذا طوال الوقت.

- تعرف عن ماذا أتحدث؟ لم تبتسم. أنت تستهين بي يا رجل. عرفت. عرفت كل شيء. تعرف شيئاً...

- أخبريني. أنا منصت إليك. ما الذي تعرفينه؟

- اسم مثل جان مارك شلاكيه يدق الجرس لديك.

- ماذا؟ أنت تمزحين؟

- تتمنى لو كنت كذلك. لا. لا أمزح.

- اسمه غريب. لا أعتقد أنه يفعل. لا جرس. لا صفارة إنذار.

- بعد قتله ودفنه لأربع سنوات حدث شيء ما ليرجع اسمه إلى الواجهة.

- جميل. ما علاقته بي؟ أوه. تعرفين. ربما عليك البحث عن عقل آخر لأن ما تملكينه الآن فاسد. منخور.

- أوه. هل هذه مرافعتك؟ أنت تمزح.

- هل هذا الصحافي هو كل ما يهمك.

- ماذا. أنا لم أقل إنه صحافي. أوه.

- ماذا؟ ألم تكوني متأكدة قبل الآن. تعرفين. كم من الوقت مضى. ها. أربع سنوات. عليك أن تنسي الموضوع.

- لا. لا يمكنني هذا. كنت أعتبرك صديقي. ساعدتك. هكذا ترد الجميل. لقد رافقتني اللعنة حتى هناك. الجميع خدعني. من كل الإثنيات.

- قلت قاتل متسلسل. وذكرت اسماً واحداً. إن كان ما أقوله مهماً، فإنني بريء من دمه. لم أكن أنا. استدرجه شخص أعرفه. هو من قتله. لست أنا. خنقه باستخدام سلك شاحن هاتف. لا أعرف السبب. لكن هذا الصديق كان يملك مشكلات. ولد في الساند بوكس. اللعنة. هذه هي مرافعتي الوحيدة.

- لا أستطيع تصديقك. لا أملك هذه الطاقة.

- هذا كل ما أملكه الآن. الحقيقة. نعم. قتلت العديد من الناس. عليّ هذا. كنت أرد الحساب. لا أحد كان يهتم بما حصل لي. هكذا. صنعت انتقامي بيدي.

- يا إلهي!

- لا يهم إن صدقت هذا أو لا. أنا أتكلم عن ماضٍ لن يطاردني أبداً. حتى هنا. عليك البحث في مكان آخر.

- لا أستطيع هذا. لقد عرفت مكانك من مكتب الهجرة. إنهم يعلمون. الجميع علم بما فعلته.

اعتقد أنها تمزح. ظل يحدق فيها. يتأمل أن تتراجع عما تقول. عبثت بالهاتف الرسغي. اعتقد أنها تتصل بأحد ما. قام. وقف الكلب معه. زمجر في وجهه وهو على وشك الهجوم. رأى سيارة سوداء تتوقف بالقرب منه. سمع أن جميع سيارات الشرطة سوداء دون ملصقات. ظل يحدق في السائق. رأى شفتيه تتحركان. كان على وشك أن ينهار على الأرض.

- لكن...

- ماذا؟

- عليك أن تجلس. عليك أن تسمع كل ما أريد قوله.

- ماذا بقي الآن؟

تحركت السيارة السوداء. أخرجت قطعة من طعام الكلاب من جيبها. فتح الكلب فمه. لاكها لبضع ثوانٍ. رجع يجلس على الأرض تحت قدمي روري مكارثي.

- شيبوليث. لم تقل لي شيبوليث بعد.

كُتبت بين 2013 و2019.

حول الكتاب

نبذة

جريمةٌ نالت من أمه وهو صغير لتغيّر مجرى حياته كلها.
كارثةٌ أودت بحياة أخيه منتحراً بربط نفسه إلى شجرة. ثم الفشل في كل شيء: الزواج، إيجاد ابنه الوحيد...
تجري الأحداث بين الولايات المتحدة والعراق. بطلاها كاتبان شبحان يتبادلان الحوار، وفي جعبة أحدهما ذاكرةٌ مثقلة بما خلّفه وراءه في البلاد. فهو العراقي المهاجر الموغل في أميركا وثقافاتها، والمتمكّن من سبر مسارات أهلها من سكّان الهامش.

قيل في الكتاب

* فائزة بـ «جائزة مي غصوب للرواية» في دورتها الثانية 2022
* «ما أنجزه الكاتب يتميّز بأهمّية خاصّة، بل نادرة... عمل استثنائي من ذاك الذي تصنعه مواهب عميقة ومتمرّسة...» من تقرير لجنة تحكيم الجائزة

عن المؤلف

أحمد عدنان نجم كاتب عراقي يهتم بالرواية والقصة والشعر. نشر عدداً من كتاباته في مواقع شعرية أميركية. «أولاد العمة هاجر» هي أول عمل روائي له.